الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ

فن الترسل في العهد الرستمي

من إعداد الطالبتين:

بن غوتي خيرة

عبد اللاوي فتيحة

تحت إشراف الأستاذ المحترم :

الدكتور طالب أحمد

السنة الجامعية:

1434هـ-1435هـ 2013م-2014م

 ..... رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا

بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا

فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

صدق الله العظيم

سورة البقرة: الآية : 286 .

كلمة شكر

في البداية نشكر الله تعالى الذي منحنا الإرادة والصبر من أجل إتمام و إنجاز هذا العمل المتواضع

نتقدم بالشكر الجزيل والإمتنان الخالص للأستاذ الدكتور المحترم * طالبي أحمد * أستاذنا المشرف الذي قدم لنا يد المساعدة و أرشدنا إلى الطريق المستقيم فألف شكر على صبره وتحمله هفواتنا وتوجيهنا إلى الصواب.

نشكر أيا الأستاذ المناقش الذي تقبل بصدر رحب مناقشة المذكرة وتحمل قراءتها فليتقبل منا فائق الشكر والإحترام.

إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب ومن بعيد.

إهداء

أتقدم بهذا العمل المتواضع إلى

من وهبني الحب والحياة وردة حياتي ومصباح دربي *أمي العزيزة* أطال الله في عمرها .

إلى روح والدي - رحمه الله –

إلى من قاسمني الرحم والاسم أخواتي العزيزات

تحية عطرة خاصة إلى أختي الصغيرة * سمية* وزوجها المحترم سليمان وزهرة وفلة بيتهما * أنفال نورية *.

إلى البر عوم الصغير * يعقوب * وأمه العزيزة – خديجة- وزوجها الفاضل إبراهيم.

إلى أخي العزيز – محمد- الذي ساعدني بالكثير فألفه شكر.

تحية خالصة عطرة إلى السيد المدير : - بوترفاس بونوار- الذي بالكثير بمنحي فرصة الدراسة فكل الشكر والامتنان لك مديري العزيز.

إلى العزيزة * روبي* وعائلتها الكريمة وأبنائها الأعزاء.

إلى القلوب الغالية التي أكن لها الحب والتقدير الإخوة الكرام : عبد القادر،عبد الله ومحمد ،عبد الحق ،جمال ،اسماعيل ،,أمين وبلال .

تحية خالصة إلى السيدة :نوالي نسيمة وصغيرها البر عوم * تاج الدين* .

تحية عطرة إلى الصديقة العزيزة *فاطمة مزرعي* و عائلتها الكريمة بالأخص *فيصل*

إلى الصديق العزيز الغالي على نفسي – بلال يوسف- وعائلته الكريمة .

إلى السيدات المحترمات : جميلة وكريمة ،وعائشة ورحمة.

إلى زميلات العمل كل باسمها: أمينة ،كريمة ،فاطنة ،فاطمة ،نسرين ،نسيمة الصغيرة ،وزوليخة.

إلى من شاركتني في العمل : * بن عوتي خيرة *

إلى كل من علمني وأحسن تعليمي وأخص بالذكر : المعلمة – صبيحة طقماوي-

- فتيحة عبداللاوي –

إهـــــداء

إلـــى ..

أعز مخلوق في الوجود .. و أعذب كلمة يلفظها اللسان .. إلى التي جرح السهر عيناها و لم تنسيني في صلاتها بالدعاء

إلـــى ..

امرأة حبها أكبر من أن تحتويه قلوب البشر

إلـــيك ..

أمي ثم أمي ثم أمي

إلـــى ..

من لقنني ببردته .. و علمني كيف يعشق الكتاب .. و كيف تعاش المعرفة

إلـــى ..

من أدين له بكل ما في .. إليك أبـــي

إلـــى ..

من كنّ مطرا لينمو زرعي و يفوح عطر أزهاري .. إلى أنسي في الحياة

إلـــى ..

أخواتي : أمينة، نعيمة، وسيلة، أسية، زهية و عائلتها الصغيرة خاصة الكتكوتين زيد و زكرياء ..

رعاهـــم الله

و لا أنسى و كيف أنسى أن أهديها إلى من تقاسمت معي هذا العمل .. عبد اللاوي فتيحة و عائلتها ..

إلـــى ..

كل من حمل لي بذرة حب في قلبه.. إلى من يحب اللغة العربية و آدابها ..

مقدمـــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أكمل بالإسلام رسالاته السماوية و جعله النبع الصافي، و المنهل العذب، و المورد الخالد لا يظمأ من ارتوى من معينه، فهو نبع فياض لمن امتلأ قلبه بالعلم بالإيمان.
و صلى الله على أشرف نبي محمد بن عبد الله، وأفضل معلم للبشرية، و خير منقذ للإنسانية، من أشرقت به الظلمات، و عمّ به الخير و البركات،تعلم الناس من رسالته أصول دينهم، ومن تعاليمه شادوا بنيان الحضارة و العمران.
و بعد:
إن الفترة التي عاشتها الجزائر في ظلال الإسلام خلال قرون طويلة جعلتها تسهم بنصيب كبير في حضارة المسلمين و تتأثر بما تأثر به المسلمين و من يتقصى تراث الجزائر يجده يزخر بكم هائل مازال طي النسيان و هو تراث ثري و متنوع يشمل جميع جوانب الحياة الفكرية للعصور التي تلت الفتح الإسلامي من أدب و فقه و تآليف في مختلف المجالات
و في هذا السياق برع عديد العلماء و الكتاب و الشعراء في عصور مختلفة فكانت لهم كلمة وكان لهم حضور فتبوأ الكثير منهم أعلى المراتب الأدبية من أمثال "رشيق المسيلي" كما حظي منهم بمجالسة أهل السلطان و الجاه مثل ما حدث مع بكر بن حماد التيهرتي،
و أكثر من ذلك فقد كان كثير من ذوي الجاه و السلطان أدباء من أمثاله المعز بن باديس و تحتفظ كتب التاريخ و الأدب بأسماء كثيرة لمعت في عالم الأدب و أخرى جمعت بين السيف و القلم.
فبعد طول تمعن في دراسة النثر في أدبنا الجزائري عبر عصوره المختلفة وجدنا فن لم يجد حظه من الدراسة كغيره من الفنون و عثرنا على عهد لم يسلط الضوء عليه كما يجب من العناية و الاهتمام و العهد الرستمي هو عهد يقظة من سبات عميق في الحياة الأدبية في الجزائر و جسر تواصل بين المشرق و المغرب منذ ظهور الدعوة الإسلامية .
و قد دفعنا هذا إلى البحث في موضوع نثري بجهد متواضع في هذا المضمار و قد وجدنا ضالتنا في موضوع لم ينل من الدراسة حقه ذلك هو: " فن الترسل في العهد الرستمي ".
و للتعرف على الجوانب المهمة لموضوع فن الترسل في العهد الرستمي تطرح الإشكالية التالية: ما موقع هذا الفن ضمن فنون الأدب العربي الذي قيل إن الكتابة بدأت به؟ وكيف برز هذا الفن في العهد الرستمي؟ و للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا المذكرة إلى مدخل بعنوان فن النثر في الأدب العربي و فصلين: فتناولت في الفصل الأول فن الترسل في الأدب العربي حيث استعرضنا هذا الفن بمفهومه اللغوي و الاصطلاحي، ثم تطرّقنا إلى تطور فن الترسل و نشأته، أنواعه، و ختمناه بخصائصه البنائية.
أما الفصل الثاني فقد خصصناه بالحديث عن فن الترسل في العهد الرستمي فتطرقنا فيه إلي تأسيس الدولة الرستمية و اهتمامهم بالعلم و الأدب و كذلك تحدثنا عن أعلام فن الترسل و موضوعاته و خصائصه البنائية و ختمناه بملحق لأهم الرسائل الرستمية.

ومن جملة الصعوبات التي واجهتنا أثناء جمع المادة ندرتها و عدم تمكننا من الحصول على بعض المراجع الهامة لعدم توفرها في المكتبات الجامعية لكننا و الحمد لله استطعنا

استدراكها من مكتبات و نوادي خارج نطاق الكلية و على الرغم من ذلك يبقى بحثنا زهيد مقارنة بما ألفه علماؤنا و نبقى على ذلك مجرد طلبة علم ننهل من جعبة معلمينا.
و خير ما نتمناه أن يوفقنا الله عز وجل في خطوتنا هذه إلى ما فيه خير و صلاح لنا و نلتمس من أولي الألباب أن يقابلونا بالمعذرة و يعاملون ذنبنا بالمعرفة.

النثر الفني عند العرب

أ- النثر لغة:

يقول صاحب اللسان: « النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل: نثر الجوز و اللوز و السكر و كذلك نثر الحب إذا بذر »[1]
فالمعنى اللغوي يعني الشيء المبعثر التفرق الذي لا يقوم على أساس في تفرقه و بعثرته، أي لا يقوم على أساس من الكيف و الكم و الاتساع.

ب- النثر اصطلاحا:

هو الكلام الذي ليس فيه الوزن و يعتمد على الحقائق بتعبير آخر:
النثر هو كلام مقفى بالأسجاع. النثر أدب إنساني « و هو على ضربين : أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب و ليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا مثل أمثال و حكم، و أما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن و مهارة و بلاغة، و هذا الضرب الذي يعنى به الناقد في اللّغات المختلفة ببحثه و درسه و بيان ما مرّ به من أحداث و أطوار، و ما يمتاز به في كل طور من صفات
و خصائص و هو يتفرع إلى جدولين كبيرين هم: الخطابة و الكتابة الفنية و يسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني و هي تشمل القصص المكتوبة كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة و قد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية الملمّقة ».[2]

و مصطلح النثر من المصطلحات القديمة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي و النقدي، و خاصة بعد استفاضة الحديث عن الشعر في الدراسات النقدية القديمة، و قد حظي باهتمام النقاد و الأدباء فشغلوا به و جاء في مؤلفاتهم كلام كثير عنه، إلا أن اهتمامهم به لم يبلغ درجة اهتمامهم بالشعر الذي أمعنوا في بحثه من جميع جوانبه و فصّلوا فيه تفصيلا دقيقا عكس ما يتعلق بالنثر فهم بالرغم من جهودهم و دراستهم لم يستطيعوا أن يصلوا في ذلك الموضوع إلى نتيجة ثابتة أو رأي موحد يمكن الاطمئنان إليه فلا نجدهم يقدمون تعريفا مضبوطا للنثر باعتباره فنّا قائما بذاته و إنّما نظروا إليه كمصطلح مقابل لمصطلح الشعر، و لكن في المقابل لابد أن يكون الأدباء و النقاد قد بلغوا فيه شأوا كبيرا و بعيدا كما وصل إليه الشعر في ذلك الوقت و الدليل على ذلك عقدهم مقارنات بينه و بين الشعر و اختلفوا في نظرة كل واحد منهم إلى كليهما و انقسموا فريقين منهم من فضّل الشعر على النظم و منهم من رأى أن الفضل كل الفضل للنظم و كان لكل فريق آراؤه وحججه و من الكتب التي أولت هذا المصطلح الاهتمام نذكر على سبيل المثال: " الإمتاع و المؤانسة " للتوحيدي، "سر الفصاحة " للخفاجي، "الحيوان" للجاحظ، و " المقدمة "لابن خلدون، و قد اكتفيت بذكر أقوال الذين فضلوا النثر.

و ما جاء في كتاب التوحيدي قال: « و سمعت أبا عابد الكرخي صالح بن علي يقول: النثر أصل الكلام، و النظم فرعه، و الأصل أشرف من الفرع و الفرع أنقص من الأصل لكن لكل منهما زائنات و شائنات، فأما زائنات النثر فهي ظاهرة، لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر وإنما يتعرضون للنظم في الثاني بداعية عارضة، و سبب باعث و أمر معين »[3]

و قال أيضا: «أن الكتب القديمة و الحديثة نزلت من السماء على ألسنة الرسائل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللّغات كلها منثورة مبسوطة، متباينة الأوزان، متباعدة الأبنية مختلفة و التصاريف....»

---

[1] - ابن منظور "لسان العرب" دار إحياء التراث العربي العربي،ص 36
[2] - شوقي ضيف "الفن و مذاهبه في النثر العربي"، دار المعارف، القاهرة، ط11، ص:15
[3] - أبو حيان التوحيدي " الإمتاع و المؤانسة "، مكتبة المشكاة، دت، دط،ص:244

و قال عيسى الوزير: " النثر من قبل العقل، و النظم من قبل الحس و لدخول النظم في طي الحس دخلت إليه الآفة. وغلبت عليه الضرورة و احتيج إلى الإغضاء عما لا يجوز مثله في الأصل الذي هو النثر " و قال ابن طرارة و كان من فصحاء أهل العصر بالعراق: "النثر كالحرة، و النظم كالأمة ...." و قال أيضا: « و لشرف النثر قال تعالى في التنزيل الحكيم: (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) و لم يقل لؤلؤا منظوما، و نجوم السماء منتثرة و إن كان انتثارها على نظام، إلا أن نظامها في حد العقل». [1] و قال بن كعب الأنصاري: « من شرف النثر أن النبي – صلى الله عليه و سلم – لم ينطق إلا به آمرا و ناهيا، و مستخبرا و مخبرا، و هاديا و واعظا و راضيا، و ما سلب النظم إلا لهبوطه عن درجة النثر، و لا نزه عنه إلا لما فيه من النقص، و لو تساويا لنطق بهما، و لما اختلفا خصّ بأشرفهما....»[2]

و يضيف صاحب الإمتاع و المؤانسة متحدثا دائما عن شرف النثر يقول : « و من شرف النثر أيضا أنه مبرّأ من التكلف، منزه عن الضرورة غني عن الاعتذار و الافتقار، و التقديم و التأخير، و الحذف و التكرير، و ما هو أكثر من هذا مما هو مدون في كتب القوافي و العروض لأربابها أين استنفذوا غايتهم فيها »[3] أما ان سنان الخفاجي المتوفى سنة (466ه) فقد تحدث عن الحاجة الماسة إلى الكتابة و نفعها و مما قاله في هذا الشأن: « و أما الذي نقوله في تفضيل النثر على النظم فهو: أن النثر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم كالمعرفة بالمخاطبات، و بيّنة الكتب و المعاهدات و التقليدات، و أمور تقع بين الرؤساء و الملوك يعرف بها الكاتب أمورهم و يطلع على خفي أسرارهم و أن الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة و الانتفاع بها في الأغراض ظاهر»[4].
ومن القدامى الذين تحدثوا عن فن النثر و نظروا له العلامة * ابن خلدون * (732ه-808ه) الذي يقدم تعريفا للشعر و النثر معا حيث يقول: « و هو الكلام الموزون المقفى، و معناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد و هو القافية، و في النثر و هو الكلام غير موزون ».[5]

و بعد أن يبين فيما يستعمل يحدد ما يختص به كل فن من فنون الكلام «....و اعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر و لا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، و الحمد و الدعاء المختص بالخطب، و أمثال ذلك ....»[6].

ثم نراه يعيب على كتاب الرسائل و السلطانيات خاصة استعمالهم أساليب الشعر و موازينه، إلى درجة أن صار هذا المنثور من باب الشعر و فنه و يقول في ذلك: « و أما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمذموم »[7].

---

[1] - المرجع السابق، ص:587
[2] - المرجع نفسه، ص:589
[3] - المرجع نفسه، ص: 244
[4] - ابن سنان الخفاجي، " سر الفصاحة "، الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، الإصدار الثالث، 2003، ص:491
[5] - ابن خلدون، "المقدمة"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه، 2004م، ص: 566
[6] - المرجع نفسه، ص:567
[7] - المرجع نفسه، ص:568

و يرى الجاحظ أن كتب النثر لها الفضل في تقييد مآثر الأمم السابقة فيقول: «...فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر من الشعر ...».[1]

أما قدامة بن جعفر فنجده يتحدث عن أقسام الكلام عند العرب فيقول « اعلم أن سائر العبارة في كلام العرب إمّا أم يكون منظوما، و إما أن يكون منثورا، و المنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام ».[2]

و لا يخفى على أحد أن المنثور من كلام العرب متنوع فنجد منه الخطـــابة و الترســـل و المقامـــة و المقالـــة، و لكل نوع من الأنواع مواضع يستعمل فيها و تختص به دون غيره من الأشكال التعبيرية الأخرى.

و للنثر مزايا و خصائص لا توجد في النظم كما جاء في كتاب " في النقد الأدبي " لعبد العزيز عتيق « مزايا النثر تحرره من قيود أي من الوزن و القافية، و هذه المزية جعلته أقدر على معالجة موضوعات أكثر تنوعا و تعقيدا و أوسع مدى و مجالا مما يمكن للشعر معالجته ».[3]

هذا ما جعل النثر العربي غني خصب بالأشكال النثرية المتنوعة التي تدعو القارئ إلى دراستها و الإمعان فيها و إن كان للمنظوم مزاياه إلا أن المزايا المذكورة تجعل التفوق للنثر.

---

[1] الجاحظ، "كتاب الحيوان"، تح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط2، 1384ه، 1965م، ص: 86

[2] قدامة بن جعفر، "نقد النثر"، تح طه حسين، دار الكتب المصرية، دط، دت، ص: 96

[3] عبد العزيز عتيق، "في النقد الأدبي"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1391ه، 1372م، ص: 161

الفصل الأول: فن الترسل في الأدب العربي

يعتبر فن الرسائل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة وله صفحات مضيئة في تاريخ العربي ازدهر في القرنين الثالث و الرابع الهجريين و فيهما انتشر هيبته وقد ألفت فيه كتب ودواوين كثيرة. ونهج كل أديب منهجا يختص به. و هو« فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب و موهبته الكتابية و روعة أساليبه المنمقة».[1]

لم تكن الكتابة شائعة بين العرب في الجاهلية ولهذا لم يكن لفن الرسائل دور في حياتهم الأدبية و الاجتماعية في ذلك العصر وهذا خلافا للفنون الأخرى كالشعر و الخطابة والحكم و الأمثال التي كانت منتشرة عندهم و مزدهرة ,لكن مع مجيء الإسلام تغيرت الحال و ظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل، فالرسول صلى الله عليه و سلم وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ و لا يكتب كان يشجع المسلمين على تعلم القراءة و الكتابة وقد اتخذ كتابا يكتبون له القرآن الكريم، كما يكتبون له الرسائل التي كانت يبعث بها إلى زعماء المناطق، ورؤساء القبائل و ملوك الدول كما فعل مع كسرى الفرس و قيصر الروم .فكانت الرسالة أوّل اتصال بالعالم الخارجي ولم يكن الشعر ولا الخطابة قادرين على أداء الدور العملي الذي تؤديه الرسالة، ومن هذا التاريخ نافس الكاتب المترسّل الشاعر و الخطيب.

ورسائل صدر الإسلام عموما«غالبا ما تبدأ بالبسملة ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل :من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله أو من أمير المؤمنين. و قد تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة مثل : " هذا كتاب من محمد رسول الله".أما إذا كانت موجهة لغير المسلم فان ما تستهل به هو " السلام على من اتبع الهدى "، و تأتي بعد السلام مباشرة: التحميدات مثل "فإني أحمد الله "و قد يرد فيها التشهد أيضا أو يكتفي فيها بعبارة: أما بعد"».[2] ويشهد فن الكتابة نقلة كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده، ثم في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحي الكاتب، فقد عرف عبد الحميد بالبراعة في فن الترسل حتى مكاتباته مضرب المثل في الجودة و الإتقان حتى قيل: "بدأت الكتابة بعبد الحميد".

ومن رسائل عبد الحميد المشهورة رسالته التي كتبها عن مروان إلى ابنه وولي عهده عبد الله حين وجهه لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الذي ثار في العراق، و رسالته التي وجهها إلى الكتاب و أصبحت دستورا لمهنة الكتابة. وعندما قامت دولة بني العباس أخذ خلفاؤها هم الآخرون يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقيهم، ولهذا السبب كثر الكتاب و نبغ كثير منهم في فن الترسل و غدا التفوق في هذا الفن وسيلة للحصول على ولاية أحد الأقاليم و مؤهلا للوصول إلى منصب الوزارة. و نستحضر في هذا المجال أسماء منها: يحي بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، محمد بن عبد الملك الزيات، و أحمد بن يوسف

---

[1]- الموسوعة العالمية العربية، حرف الراء، ص: 202

[2]- عمر عروة، "النثر الفني أبرز فنونه و أعلامه"، دار القصبة للنشر، دط، دت، ص: 33

الكاتب، ابن العميد، و الصاحب بن عبار، و عبد العزيز بن يوسف، و ضياء الدين بن الأثير. و غيرهم ممن أوصلتهم هذه الصنعة و هذا الفن إلى ما كانوا يطمحون إليه من نيل إلى أعلى المناصب.

و قد بلغ فن الرسائل أول عطائه في القرنين الثالث و الرابع الهجريين بحيث يمكن لنا أن نضيف هذا القرنيين بأنهما يمثلان الفترة الذهبية لهذا الفن.

وتنقل لنا الكتب« أن أول من وضع البريد، معاوية بن أبي سفيان ولم يكن البريد عندئذ مثل ما نعرفه الآن في نقل الرسائل و إنما كان مقصورا على نقل ما يهم الدولة و رجالها، كما كان صاحب البريد في كل صورة بمثابة عين الخليفة يكتب إليه بكل ما يقع عليه بصره أو يصل إلى أذنه من أخبار».[1]

غير أن هذه الصناعة أصاب سوقها الكساد في عصور الضعف ثم ابتليت الأمة بعد ذلك باستعمار بليغ ضعفت أثناءه الكتابة عموما و الرسائل خصوصا، حتى كاد فن الترسل أن يمتحي لولا بعض الأدباء الذين أبقوا على حياته بفضل سطرته أقلامهم من روائع، أما في وقتنا الراهن فقد صارت كتابة الرسائل لا تخطر على بال ذلك أن التكنولوجيا الحديثة قد قضت أو كادت أن تقضي على فن الترسل برسائل قصيرة تكتب على أجهزة الهاتف أو على البريد الإلكتروني فتأتي باردة خالية من العواطف و الأحاسيس. ولعل الحنين إلى فن الترسل يذكر في نفوس الناس قبسا من نور فيعود كتابة الرسائل إلى سابق عهدها و يولد جيل جديد يعيد إلى الكتابة تألقها فيرى جاحظ جديد و عبد الحميد الثاني من الذين منحوا حياتهم و جهدهم لفن الكتابة و الترسل.

المبحث الأول: الترسل لغة و اصطلاحا

أ- لغـة:

قبل أن نقف على المعنى الاصطلاحي للترسل لابد من التعرف على المعنى اللغوي لجذر الترسل، فالترسل من كلمة **رسلك** فالراء و السين و اللام(ر س ل) جذر يتفرع منه ألفاظ يتبعها معان و دلالات و عند الوقوف على معاجم مختلفة تبين لنا ما يلي:

رسَلَ: الرَّسَل: القطيع من كل شيء و الجمع أرسال، و الرّسل: الإبل، و الرّسل: قطيع بعد قطيع ، و أرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالاً أي قطعا. وإذا أورد الرجل إبله منقطعة قيل أوردها أرسالا.

و الترسُّل و الرَّسل: الرفقة و التؤدة، و يقال: إفعل كذا و كذا على رسلك، أي اتئد فيه. و الترسل كالرّسل، و الترسل في القراءة و الترسيل واحد، قيل: و هو التحقيق بلا عجلة، و قيل بعضه على إثر بعض، و الترسّل في قراءته اتَّأد فيها، يقال: ترسل الرجل في كلامه و مشيه، إذا لم يعجل، وهو و الترسل سواء.

و الرّسل: اللبن و الخصب، و السعة، و الرّسل: الذي فيه لين و استرخاء. و شعر رسل: مسترسل. و المرسال: الناقة السهلة السير. و الترسل من الرسل في الأمور و المنطق كالتمهل و التوقر و التثبت

[1]- القاضي التنوخي، "الفرج بعد الشدة"، الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي الإمارات المتحدة، الإصدار الثالث،2003م،ص: 301

و الرسول: بمعنى الرسالة و معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذا من قولهم: جاءت الإبل رسلا أي متتابعة. ونثر مرسل : لا يتقيد بسجع، و ترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلا من غير سجع. و أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد، و راسله في عمله: تابعه فيه.[1]

و عند البحث في معجم مقاييس اللغة لابن فارس عن هذا الجذر و جدنا الآتي:

رَسَلَ: الراء و السين و اللام. أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث و الامتداد.

الرَّسَل: السير السهل.

و الرّسل: ما أرسل من الغنم إلى الرعي، و الرّسل: اللبن، و قياسه ما ذكرناه لأنه يترسل من.

الضرع، و يقال: أرسل القوم: إذا كان لهم رسل وهو اللبن.

و رَسِيْل الرجل: الذي يقف معه في نضال أو غيره كأنه سمي بذلك لأنه إرساله سهمه يكون مع إرسال الآخر لسهمه.

و الرَّسل: الرّحاء يقول: بنيل منها في رخاءه و شدته و استرسلت إلى الشيء: إذا انبعثت نفسك إليه، أنست.

و المرسلات: الرياح.[1]

ب-اصطلاحا:

عندما حاولنا أن نقف بين المعاني و الدلالات التي خرجت من جذر(رَسَل) والتي وردت في معاجم مختلفة، تبين لنا أنها تكاد تتفق في معظم المعاني أو تتقارب، وهذا ما أكده الأصل الذي أخذ من معجم مقاييس اللغة و الذي يتفق مع المعاني التي تجتمع على دلالة واحدة و هي: الانبعاث و الانبساط و الامتداد و الاستمرار ، حيث شيء بعد شيء في رفق و سهولة و تؤده و لين و تتابع و تكرار(قطيع بعد قطيع).

ومن خلال ما سبق نخلص إلى القول: إن الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية أو إخوانية، أو أدبية تصدر من كتاب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة، يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا و فقرات بأسلوب فيه تؤدة و سهولة و رفق من المرسل إلى المرسل إليه. و منهم من يقول: « الترسل من المصطلحات الأدبية المولدة ، ويراد به كتابة الرسائل».[2]

ومنهم من يعرفه:« هو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر».[3]

و في كلام قدامة ما يدل على أن الترسل كان صناعة و مهنة لا يحترفها إلا من رسخت قدمه في الأدب، وكان له إطلاع على ضروب من المعرفة تؤهله لامتهان هذه الصناعة فضلا عن الصفات،

---

[1]- ابن منظور، "لسان العرب"، دار لسان العرب، مجلد1، دط، دت ،ص:51

[1]- إبراهيم مصطفى، "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية،المكتبة الإسلامية، ج1، ط2، 1972م، ص

[2]- علي جميل مهنا،"الأدب في ظل الخلافة العباسية"،ط1981،1م، ص: 222 .

[3]- حسين غالب، "بيان العرب الجديد"، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1971م، ص: 181 .

كالصدق و النزاهة و الإخلاص و ما إلا ذلك «....و لا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر...»[1]

و يسند هذا الكلام ما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته متحدثا عما يجب أن يكون عليه كاتب الرسائل من أخلاق و صفات فنراه يقول: « و اعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من طبقات الناس و أهل المروءة و الحشمة منهم، و زيادة العلم و عارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك و مقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب و التخلق بالفضائل، مع ما ينظر إليه في التَرسيل و تطبيق مقاصد الكلام من البلاغة و أسرارها ».[2]

وقد يطلق على كتابة الإنشاء صناعة الترسل، تسميته للشيء بأعم أجزاءه، إذ الترسل و المكاتبات أعظم من كتابة الإنشاء، و أهمها من حيث إنه لا يستغنى عنها ملك و لا سوقة.[3]

و قد يعني الترسل إنشاء المرسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكتاب و المكتوب إليه، من حيث الأدب و المصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، و هو الذي يتغير مع الأعصر و يشتمل على المراسلات و الخطب و مقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة.[4] و فن الترسل معروف عند الأمم الأخرى أيضا و هو قديم كذلك و حسب ما جاء في الموسوعة العربية فإن أعتق الرسائل التي وصلت إلينا رسالة بابلية كتبت على لوح آجري محفوظ ضمن غلاف من آجر أيضا. كذلك نجد أن الآداب غير العربية هي الأخرى تناولت أدب الرسائل، و اهتمت بتعريف الرسائل و نقتصر هنا على بعض التعاريف المختصرة للرسالة منها:

"« الرسالة تواصل مع الآخر و تعبير عن الذات الكاتبة، مغالبة منها للبعد و الغياب » ومنها كذلك : « الرسالة وسيلة اتصال بين صديقين غائبين » وأيضا « الرسالة هي محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين »[5]

و يبدو من خلال هذه التعريفات المختصرة للرسالة، أن الرسائل مهما اختلفت اللغات التي تكتب بها فإن القصد منها هو التواصل بين الأشخاص عن طريق الكتابة.

المبحث الثاني: الترسل نشأة و تطورا

---

[1]- قدامة بن جعفر،" نقد النثر"، تح طه حسين، دار الكتب المصرية، دط، دت، ص:9

[2]- ابن خلدون، "المقدمة"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه، 2004م، ص: 247 .

[3]- القلقشندي،"كتاب صبح الاعشى"،ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة،1340ه، 1922م، ص: 3 .

[4]- زيدان جرجي " كتاب تاريخ آداب اللغة العربية"، مطبعة الهلال ، 1930م، ج2، ص34.

[5]- آمنة الدهري،" الترسل الأدبي بالمغرب " النص و الخطاب، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1، 1424ه، هامش1، ص: 103 .

إن الحديث عن أولية الترسل و مراحل تطوره، و كيف وصل إلى مكانة سامية بين فنون النثر العربي، يتطلب منا الوقوف على مراحل النشأة و التطور، و التي نستطيع من خلالها أن كون فكرة واضحة عن بنائية الترسل، و كيف انتهى إلى المرحلة المرموقة، و الدرجة الرفيعة، في مراحل الترسل الزاهية و هذه المراحل هي:

*مرحلة العصر الجاهلي

*المرحلة النبوية

*مرحلة الخلفاء الراشدين

*مرحلة العصر الأموي

*مرحلة العصر العباسي

إن هذه المراحل المختلفة و المتتابعة شكلت مواقف مهمة في تاريخ الأدب العربي و النثر العربي، و سأركز الحديث عن الجوانب الفنية للترسل، مبينا كيفية شكل الترسل عبر الأدب العربي، إلى أن وصل إلى المرحلة التي استقر عليها ونضج فيها.

1 مرحلة العصر الجاهلي:

إن النثر الفني المنمق ليس أقل تعبيرا في كثير من الأحوال عن أدق مشاعر الإنسان و عواطفه القلبية، و ليس هناك شيء آخر يعبر عنه بالشعر،إلا و للنثر إمكانية التعبير عن مثله، و ليس هناك من صورة في الشعر، إلا و يكون النثر أقدر على تصويرها و وصفها في كثير من الأحاسيس، لأن الشعر لغة معقدة و مقيدة، أما النثر فلغته مبسطة و أكثر حيوية، و أقدر على الحركة و التعبير و التعبير من الشعر.

و معظم الباحثين يرون أن العصر الجاهلي لم يعرف من الكتابة غيرها دون من بعض المعاهدات و الأحلاف و العقود التجارية، « أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر، و لم تصل إلينا منه أية شواهد كتابية فنية إلا في فترة زمنية متأخرة في العصر العباسي و ما بعده »[1].

ونحن نرى أن بذور النثر الفني كانت موجودة، حيث كان السجع موجودا في عبارات الكهان وبعض خطبائهم. وربما كانت في طور الإنبات، فهناك من يقول: « إن فن الترسل في الأدب الجاهلي اتصفت رسائله بالإيجاز والبساطة في التعبير دون صيغة لفظية، وكان عبارة الرسائل وتوصيات وحكم وأمثال كرسالة المنذر الأكبر إلى كسرى أبو شروان، و رسالة عبد العربي بن قيس الكلبي إل قومه ».[2]

لقد كانوا في نثرهم الفني هذا – وإن بدا قليلا و نادرا– لا يحفلون بانتقاء الألفاظ و التعمق في المعاني و ترتيبها، و لا يولعون بالتأنق في صوغ العبارات، و الميل إلى الإيجاز في الألفاظ،

[1]- علي جميل مهنا، "الأدب في ظل الخلافة العباسية"،ط1981،1م، ص: 223 .

[2]- أمل داعوق سعد، "فن المراسلة عند مي زيادة"، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1986م، ص: 29 .

وتعمد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال، و هناك من يعتبر الرسالة كانت قريبة إلى حد ما فالخطبة من غير تنسيق أو التزام أسلوب خاص« لأن العرب عامة كانوا أقدر على الخطابة منهم على الكتابة ».[1] و على إمعان النظر في الآراء السابقة يتبين أن أولية النثر الفني العربي كانت موجودة في العصر الجاهلي دون أن سمي بمسميات العصور اللاحقة، لكننا لا ترقى إلى درجة النثر الفني الناضج و لا تصل إلى مرحلة ظهور الجوانب الفنية للترسل، لكن البدايات الأولى كانت موجودة و منها انطلق الناثرون الفنيون في العصور اللاحقة إلى تأصيل النثر الفني و ما سيمثله من ترسل و غيره، و مما يؤيد ذلك أن الكتابة كانت معروفة على نحو تخدم مصالحهم منذ العصر الجاهلي، و كان ممن عرف الكتابة من أهل البادية« أكثم بن صيفي حكيم تميم و خطيبها و ابن أخيه حنظلة كاتب الرسول صلى الله عليه و سلم، والمرقش الأكبر، ولبيد بن ربيعة"[2] وغيرهم، و كذلك فإنه "من الثابت أن العرب في جاهليتهم استعملوا الرسائل بينهم عن بعض شؤونهم الحياتية».[3]

2- المرحلة النبوية:

مع إطلالة فجر النبوة أخذت شمس الدعوة تنسج من خيوطها أفكارا نيرة تنبعث من عقول جيل الصحابة الكرام، ملؤها الإيمان و العقيدة السمحة التي استطاع نبي الإسلام صلى الله عليه و سلم من خلالها أن يغير من نسيج العقل الجاهلي، ليظهر بمظهر الحضارة الإسلامية الوليدة، و بما أن الإسلام للناس كافة،فإن الرسول صلى الله عليه عندما استقر به المقام في المدينة المنورة، عاصمة الناشئة أخذ يرسل برسائل لملوك و حكام أكبر الدول المحيطة، بل و الموجودة في عصره عليه السلام إضافة إلى أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام.

وعند النظر في الرسائل النبوية المرسلة إلى كل من: هرقل ملك الروم و كسرى ملك الفرس و المقوقس عظيم القبط في مصر، و النجاشي ملك الحبشة و وائل بن حجر في حضر الموت، نتبيّن من خلال هذه الرسائل ما يلي:

* تتميز الرسائل الموجهة لزعماء أهل الكتاب، كان حملها أرق لما تحمله من كلمات تدل على ما يتميز به أهل الديانات السماوية، ففي رسالته إلى هرقل يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم:"بسم الله الرحمن الرحيم،من محمد عبد الله و رسوله، إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين....."[4]

أما رسالته عليه السلام غلى كسرى ففيها تذكير بالعقيدة و إنذار و تحذير، حيث يقول فيها:"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى، وآمن

[1]- عمر فروخ، "تاريخ الأدب العربي"، دار العلم للملايين، بيروت،1969م، ج1، ص:374 .
[2]- محمد يونس، " في النثر العربي"، مكتبة لبنان، ط1، 1996م، ص: 174 .
[3]- المرجع السابق، ص174.
[4]- مي يوسف خليف ، " النثر العربي بين صدر الإسلام و العصر الأموي" ، دار قباء للطباعة و النشر ، ص 32.

بالله ورسوله و شهد أن لا إله إلا الله و أن رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا أسلم تسلم...."[1] و التذكير بالعقيدة و الإنذار جاء لكسرى لأنه مشرك يعبد النار و فاسد للعقيدة.

و لكن رسالته للنجاشي فقد تميزت بالإطالة النسبية و الاحترام المتبادل بين المرسل و المرسل إليه وفي هذه الرسالة يقول النبي صلى الله عليه و سلم :"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، و أشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه و نفخه كما خلق آدم بيده، و إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك، و الموالاة على طاعته و أن تتبعني و تؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، و إني أدعوك و جنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، و السلام على من اتبع الهدى".[2]

* و تميزت الرسالة المرسلة لوائل بن حجر الحضرمي بالبلاغة و وعورة الألفاظ و غرابتها، إذا ما قورنت برسائله عليه السلام لغير العرب فالنبي صلى الله عليه و سلم كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ومن كتابه عليه السلام إلى وائل بن حجر الحضرمي: « من محمد بن عبد الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضر موت، بإقام الصلاة و إيتاء الزكاة في التيعة، و التيمة، لصاحبها و في السيوب الخمس، و لا وراط، و لا شناق و لا شغار، فمن أجبى فقد أربى، و كل مسكر حرام »[3] ، و بذلك تظهر لنا صعوبة الألفاظ و غرابتها.

* لقد حققت الرسائل الهدف من إرسالها، و أدت دورها في بساطة و يسر على المستوى اللغوي دون صنعة و لا غموض و لا لبس.

* و في رسائله عليه السلام لغير العرب نجد التشابه في صيغة الأداء بين مكاني المرسل و المرسل إليه مع تواضع المرسل و حرصه عليه الصلاة و السلام على إظهار عبوديته المطلقة لخالقه عز و جل.

لقد دعم كتابته عليه الصلاة و السلام بمنطق الحس الديني لإحساسه بحجم التبعة و محاولة الإقناع بالحسنى من واقع الصيغ الشرطية المتكررة، أسلم تسلم، أسلم يؤتك أجرك مرتين.

و أحاط المنطق البلاغي في هذه المكاتبات أو الرسائل التي ظهر فيها: الإيجاز، و ملائمة أحوال ظروف الدعوة و الوضوح و القصد إلى الإقناع، و البعد عن الكلفة و التصنيع.

* و أكدت الرسائل على عموم الرسالة النبوية إلى البشرية أن دين الإسلام هو دين عالمي و هو للناس كافة.

---

[1]- الطبري، "تاريخ الطبري"، ط4، دار المعارف، ج2، ص:604 .

[2]- المرجع نفسه ، ص602.

[3]- الجاحظ، "البيان التبين"، مكتبة الخانجي،ج2، ص: 27.

لقد كانت رسائل الدعوة النبوية إلى الملوك و الأمراء فدعوهم فيما النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام و هي أظهر ما وجد في العهد النبوي من نثر مكتوب فما من عهود و مواثيق بين المهاجرين و الأنصار و اليهود أو بين الرسول صلى الله عليه و سلم و قريش إلا كتابة الترسل النبوي أو إلى الترسل الراشدي و ما بعده.

و يحاول الدكتور طه حسين أن يقلل من معرفة العرب في عصر النبوة بالكتابة و ما ينتظم فيها من جمل و عبارات فيقول نص المعاهدة التي عقدت بين المسلمين و الأنصار، التي أنزلت العرب المهاجرين و الأنصار منازلهم في المدينة كانت كتابة قوم لم يتعودوا أن يؤدوا أغراضا سياسية بهذا النوع من الأداء، و إنما كانت تؤدى بالأحاديث فكتبت في الصحف كما كانت تردد في الأحاديث".[1]

و لكن الذي يتفحص رسائله صلى الله عليه و سلم خاصة تلك التي أرسلت لأمراء العرب يرى مدى الفصاحة التي كتبت بها، كتلك التي أرسلها لوائل بن حجر الحضرمي، فالرسول صلى الله عليه وسلم رغم أميته لكنه كان رمزا للفصاحة و البلاغة و البيان، فلذلك روى أنه قيل: " الأمية في رسول الله صلى الله عليه و سلم فضيلة، و في غيره نقيصة ".[2] وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مشاعل وضاءة في الفصاحة العربية، و هذا ما سنلاحظه عند حديثنا عن الترسل في العهد الراشدي.

و هناك من يحاول أن يسم الترسل النبوي بالسمات ذاتها في العصر الجاهلي، فتقول أمل داعوق سعد بهذا الصدد: " مع ظهور الإسلام ظهرت الدعوة الإسلامية النبوية، و هي تكاد تتسم بصفات الرسائل الجاهلية، إضافة إلى استعمال ألفاظ مناسبة لحال المخاطب ".[3]

و الذي يطالع رسائله صلى الله عليه و سلم يلحظ التشابه في نص الرسائل ذات الموضوع الواحد، و إن اختلف الكاتب فمثلا رسائل الأمان التي كتبها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو التي كتبها معاوية رضي الله عنه كلها متشابهة شبها يكاد يكون تاما، فالمهم عندهم إفهام المكتوب إليه فيما يريدون من معان بأسهل أسلوب، ولا نستطيع أن طلق على كتاباتهم هنا اسم الكتابة الفنية، لأنها مرتجلة سريعة مملاة بلغة سهلة هي لغة الحديث.[4]

و يجدر بنا أن نشير هنا إلى ما ذكره القلقشندي عندما قال:« اعلم أن هذا الديوان [ديوان الرسائل]، أول ديوان وضع في الإسلام، و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يكاتب أمراءه و أصحاب سراياه من الصحابة و يكاتبونه، و كتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه...، و هذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء ».[5]

و لكن هذا القول لا يعتمد على أساس قوي، إذ لا تلازم بين ديوان الإنشاء و هذه الكتابة، حيث إنه قد يوجد مثل هذه الكتابة، و لا يوجد هذا الديوان، الذي يتألف من كتاب مترون محبرين متأنقين متفننين، و

---

[1]- طه حسين، "من تاريخ الأدب العربي"، دار العلم للملايين،ص: 40.
[2]- القلقشندي، "كتاب صبح الأعشى"، مجلد1، ج1، ص: 40 .
[3]- أمل داعوق سعد، "فن المراسلة عند مي زيادة"، دار الآفاق، ص:29 .
[4]- حسين نصار، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ص: 46-47 .
[5]- القلقشندي،" كتاب صبح الأعشى"، ج1، ص: 91.

لم يوجد في عهد الرسول الكريم عليه السلام، مثل هذا الصنف من الكتاب، ومن جاء قبل القلقشندي من مؤلفين و أدباء و مؤرخين لم يذكروا مثل هذا الديوان في العهد النبوي، أو حتى في عهد الخلفاء الراشدين أنفسهم.

و كل ما يمكن قوله وجود الأساس الذي سيشيد عليه فيما بعد ديوان الرسائل، ومنهم من أيد العبارة الأخيرة بقوله: « و يصح أن نعد هذا العمل أول خطوة في إنشاء ديوان رسمي للدولة الإسلامية »[1].

3 مرحلة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

بعد أن أكمل الله دينه، و أتم على الناس نعمته، و أدى الرسول ص أمانته، استلم الراية صديقه الصديق أبو بكر رضي الله عنه، خليفة رسول الله عليه الصلاة و السلام، و أمير المؤمنين في الدولة الراشدة الناشئة، و لكن أمورا عظيمة اعترضت أبا بكر رضي الله عنه لمحاربة الروم، و هو سيعمل على الحفاظ على هذه الدولة الفتية من أعدائها المتربصين بها من الروم و الفرس واليهود، و بعض القبائل العربية، و هو سيقف في وجه المرتدين الذين أعلنوا ارتدادهم عن الإسلام، فها هو يرسل رسالة إلى القبائل المرتدة ينذرهم عاقبة فعلتهم، و هذه الرسالة تظهر فيها الأمور التالية:

1- بدأها بالبسملة و بيان المرسل و المرسل إليه: " بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلى من بلغه كتابي هذا من عامة و خاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه " .

2- قوله: "سلام على من اتبع الهدى" ، ثم الشهادة بوحدانية الله، و أن محمدا عبده و رسوله (و أبو بكر هنا و في معظم أجزاء الرسالة رسول الله صلى الله عليه و سلم في ترسله).

3- بعد هذا التقديم ينتقل إلى التذكير بدين الله الحق و بأهمية الالتزام بالإسلام، و بتقوى الله عز و جل، "و إني أوصيكم بتقوى الله و حظكم و نصيبكم من الله...".

4- بعد ذلك تعرض لموضوع الرسالة و ذكرهم بوسواس الشيطان، "و قد بلغني رجوع من رجع عن دينه بعد أن أقر بالإسلام ...".

5- ثم تنتهي الرسالة بالإنذار و التحذير، "و أن يحرقهم بالنار، و يقتلهم كل قتلة، و أن يسبي النساء و الذراري و لا يقبل من أحد الإسلام ... و إن اقروا قبل منهم و حملهم على مبتغي لهم ".

و من خلال هذه الرسالة نرى أنها تتميز بما يأتي:

[1]- حسين نصار ، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ص: 47-48 .

1- هي رسالة مكتوبة، لكنها كخطبة محكمة الآداء، تناول فيها أبو بكر رضي الله عنه مسؤولية الحاكم أو الراعي المسلم، و أكثر فيها من الاقتباسات القرآنية،

2- كقوله تعالى: ﴿ من يهد الله فهو المهتد، و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾[1]

3- و قوله عز وجل: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾.[2]

4- في الرسالة إطالة، نظرا لخطورة الموضوع، و عظم الموقف الحاصل، فالأمر يحتاج إلى بيان و إنذار و تحذير، بعد التذكير بالخالق، و الجهل بأمره و إجابة الشيطان.

5- الوضوح و السهولة في الألفاظ مع التركيز على المقصود.

6- و يجدر بي أن أشير إلى أن وضع الكتابة لم يتغير كثيرا عما كان عليه في العهد النبوي، فالكتّاب هم الكتّاب، و الأسلوب هو الأسلوب، و لكن لكثرة الحروب و المعاهدات جعلهم يكثرون من الكتابة، و ظهر أمر جديد هو عهود الولاية، أي عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[3] و نذكر هنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اتخذ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كاتبا له،[4] و قد كانت رسائل الصديق رضي الله عنه تفتتح بلفظ: من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى فلان، و بقية الكتاب على نفس نسق كتب النبي صلى الله عليه و سلم.[5]

أولا: نص الوثيقة العمرية:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم و أموالهم و لكنائسهم و صلبانهم، سقيمها و بريئها، و سائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم و لا تهدمن و لا ينتقص منها و لا من حيّزها، و لا من صليبهم و لا من شيء من أموالهم، و لا يكرهون على دينهم، و لا يضار أحد منهم،(و لا يسمن مع أهل المدائن)[6] ، أن يخرجوا منها الروم[7]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه و ماله، حتى يبلغ مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، و عليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، و من أحب من أهل إيليا إلى أن يسير بنفسه و ماله مع الروم و يخلي بيعهم و صلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدوا عليه، مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، و

---

[1]- سورة الكهف، آية: 17.
[2]- سورة فاطر، آية: 6.
[3]- حسين نصار ، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ص: 48-49
[4]- أحمد الحوفي ،" مجلة المورد"، النثر الفني عربي النشأة، ص: 30 .
[5]- القلقشندي،" كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، ج6، ص: 38 .
[6]- الطبري،" تاريخ الطبري"، دار المعارف، ج3، ط4، ص: 609 .
[7]- ينظر مي يوسف خليف، "النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي"، ص: 42-43.

من شاء صار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم، و على ما في هذا الكتاب عهد الله و ذمة رسوله و ذمة الخلفاء و ذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد و عمرو بن العاص و عبد الرحمن بن عوف و معاوية بن أبي سفيان »

و أهم ما اتصفت به هذه الوثيقة:

1- البدء بالبسملة، ثم الإعلان عن طرفي الوثيقة، بعد أن بين عبوديته لله عز وجل، و ذكر اسمه، و أنه أمير المؤمنين.

2- بين ما يشمله الأمان، و متى و أين و كيف يسري هذا الأمان.

3- فصل في الحديث بعد إجماله.

4- و قبل الاستشهاد يختمها بالتحذير، و العهد الذي يشبه القسم.

5- اللغة سهلة المعاني، واضحة الألفاظ دون إسهاب.

6- قد نلحظ اقتداء ابن الخطاب رضي الله عنه برسول الله صلى الله عبيه و سلم في رسائله، من حيث الافتتاح و التفصيل بعد الإجمال.

ثانيا: رسالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القضاة التي أرسل بها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، و سنة متبعة، فافهم إذا ما أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في مجلسك في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف حيفك، و لا يخاف ضعيف من جورك، البينة على من ادعى، و اليمين على من أنكر. و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً. و لا يمنعك قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، و هديت فيه لرشدك أن ترجع عنه إلى الحق، فإن الحق قديم. و مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهمَ، الفهمَ عندما يتلجلج في صدرك، مما لم يبلغك في كتاب الله و لا في سنة النبي صلى الله عليه و سلم. اعرف الأمثال و الأشباه. و قس الأمور عند ذلك، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله، و أشبهها بالحق فيما ترى، و اجعل للمدعي حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، و إلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أنفى للشك، و أجلى للعمى، و أبلغ للعذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة، فإن الله قد تولى منكم السرائر و درأ عنكم الشبهات، ثم إياك و القلق و الضجر، و التأذي بالناس، و التنكير للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها، و يحسن بها الذخر، فإنه من يخلص نيته فيما بينه و بين الله تعالى، يكفيه

الله ما بينه و بين الناس، و من تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك سره، و أبدى فعله، فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه، و خزائن رحمته، و السلام عليكم »[1]

و هذه الرسالة تتميز بما يلي:

1. بدأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالبسملة و أنهاها بالسلام.
2. بيّن أهمية القضاء و كيف ينفذ بالشكل المناسب.
3. سهولة الألفاظ.
4. اللفظ على قدر المعنى.

و ترى الدكتورة مي يوسف خليف أن:

1- الصياغة اللفظية سارت في اتجاهات تقريرية مباشرة.
2- و تقترب الرسالة من الخطابة، حيث لا صنعة معقدة، و لا رغبة في إدهاش الجمهور بل إقناع و توجيه و إرشاد.
3- كما تشيع في الرسالة المعاني الدينية، و يعتمد المرسل على الحجة و الدليل و الإقناع.
4- و هي تعتبر" خطوة إيجابية على طريق تطور الفن الكتابي بلا كلفة مقصودة، و لا صنعة ظاهرة متعمدة، و لا انحدار إلى مساقات مبتذلة أو سوقية، بل تنطلق من بعد لغوي راق، يعلو فيه اللفظ وتتسق معه دلالته، و يؤدي المعنى فيه بإحكام و دقة".[2]
5- و تعد هذه الرسالة "إحدى العلامات البارزة على طريق الكتابة الفنية في عصر صدر الإسلام" حيث لا إيجاز و لا صنعة فنية معقدة.

و قد نخلص إلى أبرز خصائص الرسالة العمرية بما يأتي:

1- المحافظة على مطلع الرسالة كما كانت في الرسالة النبوية بشكل عام.
2- كما لوحظ ظهور مصطلح جديد في المطلع: من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، و هذا لم يعهد من قبل.
3- كما لوحظ الحرص على إعطاء المعنى حقه وفق اللفظ المختار له.
4- ثم التأثر بأسلوب القرآن الكريم في اللفظ و المعنى و نسج الأفكار.
5- و البعد عن التأنق اللفظي الذي ظهر في وقت لاحق.

و يرى القلقشندي أن الكتابة العمرية لم تتغير عما كانت عليه في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه. و الإملاء لا يزال موجودا، و لكن كان يطلب من الكاتب أن يكتب بعض الرسائل بنفسه، و مع

---

[1]- مي يوسف خليف ، "النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي"، ص: 48-49

[2]- المرجع السابق، ص: 60-61.

كل ذلك كانت شخصية سيدنا عمر رضي الله عنه تظهر خلال رسائله كأنه يتكلم بنفسه. و رغم كثرة الدواوين في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه إلا أنه لا تتصل بالكتابة الفنية.[1]

و في هذه الفترة العمرية نلحظ تعدد الكتّاب و الذي يدل على حركة داخلة نشطة في ميدان الكتابة، و هذه أدت إلى إيجاد طبقة خاصة من الكتاب، ربما قد يكون لها بعض الدور في السير بالكتابة إلى المرحلة الفنية.[2]

و يقول الدكتور طه حسين: « و مع أني لست واثقا من أن النصوص قد صدرت عن [سيدنا] عمر [رضي الله عنه] كما هي، فما من شك عندي أن [سيدنا] عمر [رضي الله عنه] أيام خلافته كان أقدر على تسخير اللغة من أيام خلافة [سيدنا] أبي بكر [رضي الله عنه] و النبي [صلى الله عنه]، لأنه تمرن، و لأن كتابه تمرنوا و اعتادوا ...».

يضيف: " و هكذا كلما تعقدت الأمور في الفتن و الخصومات، و في الإدارة السياسية، مرنت اللغة، و أصبح أمر الكتابة فيها أيسر مما كان".[3]

هذا و قد شهدت خلافة [سيدنا] عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] ازدهارا واسعا لفنون الرسائل، و كثرت مكاتباته إلى قادته وولاته و عماله و قضاته".[4]

❖ **سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

و جاء في عصر ذي النورين رضي الله عنه و استمرت أنوار الخلافة تسطع في أرجاء الأرض، و تزداد مطالب دولة الخلافة، و يتخذ من مروان ابن الحكم كاتبا له،[5] ليرسل برسائله إلى أصحاب الشأن من المحاربين و أهل الثغور، و إلى الولاة و القضاة.

و لا يختلف عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتبه و ترسله عن سابقيه كثيرا، و إن كانت من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه منه ما كتبه عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم: "بسم الله الرحمن و الرحيم،أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمد بالحق بشيرا و نذيرا، فبلغ عن الله ما أمره به ثم مضى و قد قضى الذي عليه، و خلف فينا كتابه، فيه حلاله و حرامه، و بيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد و كرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه و عمر رضي الله عنه ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم و لا مسألة عن ملإ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملإ منهم و من الناس علي، على غير طلب مني و لا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون و لا ينكرون، تابعا غير مستتبع، متبعا غير مبتدع، مقتديا غير متكلف. فلما انتهت الأمور، و انتكث الشر بأهله، بدت ضغائن و أهواء على غير إجرام و لا ترة فيما مضى

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 53 .
[2]- المرجع السابق، ص: 54 .
[3]- طه حسين، "من تاريخ الأدب العربي"، ص: 42
[4]- محمد يونس، "في النثر الفني"، ص: 177 .
[5]- أحمد الحوفي، ، "النثر الفني عربي النشأة"، مجلة المورد،ج4، ص: 30.

إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمرا و أعلنوا غيره بغير حجة و لا عذر، فعابوا علي أشياء مما كانوا يرضون، و أشياء عن ملإ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي و كففتها منذ سنين"

" و أني أرى و أسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم و حرمه و أرض هجرة، و ثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق بهم".[1]

ومن الملحوظات التي نسجلها على هذه الرسالة العثمانية:

1- كتب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هذه الرسالة و هو في ظروف صعبة، حيث تجمع أناس من مناطق شتى لقتله، فلجأ في رسالته هذه إلى المسلمين يطلب النجدة ووقف الفتنة.

2- رغم صعوبة الموقف، فإن ذا النورين بقي ملتزما بدينه و إسلامه، و أخذ يعلن في رسالته هذه إلى أهل الأمصار، كيف وصلت إليه الخلافة دون أن يطلبها، و كيف حكم بين الناس، و رغم صبره على إيذاء أهل الفتنة، و ما تحمل منهم، إلا أنهم ماضون في موكب فتنتهم.

3- في رسالة سيدنا عثمان بن عفان، لم يظهر لنا أي تكلف أو صنعة أو تأنق، ربما لأن الموقف لا يتطلب و لا يحتمل ذلك، أو لأن طبيعة الموضوع تحتاج لمثل هذا الأسلوب، فسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه اختار من الكلمات و الجمل أكثرها إثارة في نفوس السامعين أو القارئين، لأنه يريد أن يستنهض هممهم و يستحثهم على المساعدة.

4- و ألفاظ الرسالة سهلة، موافقة للمعنى، و تظهر جملها حقائق تاريخية من عهد الرسول صلى الله عليه و سلم حتى يوم كتابة هذه الرسالة، فبدا أسلوبها إخبارا على الأغلب، إلا ما كان في آخرها عند طلب منهم أن يلحقوا به و يدركوه قبل فوات الأوان.

5- كما ظهرت بعض العبارات المسجوعة العفوية كقوله:

وخلف فينا كتابه / فيه حلاله و حرامه.

ما يعرفون / و لا ينكرون.

و ثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب يوم الأحزاب.

سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

[1]- الطبري، "تاريخ الطبري"، دار المعارف، ج4، ص: 351-352.

و ينتقل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بعد أن استشهد إلى جوار ربه، و تستمر الفتنة تطل برأسها، و يبايع سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، و تبدأ الخصومات بين سيدنا علي و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، و تشتد الفتنة.

و تكثر الرسائل و المكاتبات، حيث كثرت كثرة ملحوظة، و أخذت تطول، و تسير أحيانا على نهج رسائل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، و قد روى الطبري أن سيدنا علي رضي الله عنها كتب إلى أهل الكوفة حين خرج من الحجاز في إثر السيدة عائشة رضي الله عنه فقال:

« إني اخترتكم على الأمصار، و فزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا و أنصارا، و أيدونا و انهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخوانا، و من أحب ذلك و آثره، و من أبغض ذلك فقد أبغض الحق و غمضه».[1]

و يظهر في هذه الرسالة مايلي:

1- الإيجاز و البعد عن الإطناب لأن الموقف لا يتطلب إطالة.
2- ربما تكون هذه الرسالة مقتطعة من رسالة أكبر اشتملت على أمور أكثر.
3- استخدم فيها سيدنا علي رضي الله عنه أساليب منوعة: أمرية، شرطية، تقريرية، بعض المحسنات اللفظية كالطباق مثل قوله: أحب، أبغض.
4- و يتخذ سيدنا علي كرم الله وجهه عبد الله بن رافع كاتبا له، و يكثر من رسائله إلى جهات مختلفة، و يروى أنه عندما وقعت الفتنة بين المسلمين في عهد سيدنا علي رضي الله عنه خاصة، وقع التراسل بينه و بين الفريق الأموي، حيث سميت هذه الرسائل فيما بعد بالرسائل الديوانية أو الرسمية لأنها اتخذت الطابع الرسمي.

و من الرسائل المهمة لسيدنا علي كرم الله وجهه رسالته التي قرأها قيس بن سعد إلى أهل مصر و التي جاء فيها:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين و المسلمين. سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن الله عز و جل بحسن صنعه و تقديره و تدبيره اختار الإسلام دينا لنفسه و ملائكته و رسله، و بعث به الرسل عليهم السلام إلى عباده، و خص لها من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عز و جل به هذه الأمة، و خصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فعلمهم الكتاب و الحكمة و الفرائض و السنّة، لكيما يهتدوا، و جمعهم لكي لا يتفرقوا، و زكاهم لكيما يتطهروا، و رفههم لكيما، لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه و سلم و رحمته و بركاته.[2]

---

[1]- حسين نصار ، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ط1، ص: 56 .
[2]- مي يوسف خليف، "النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي"، ص: 62-63 .

ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب و السنة، و أحسنا السيرة، و لم يعدوا السنة، ثم توفاهما الله عز وجل رضي الله عنهما ثم ولى يعدهما وال فأحدث أحداثا، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا، ثم نقموا عليه فغيّروا، ثم جاؤوني، فاستهدي الله عز و جل بالهدى، و أستعينه على التقوى، ألا و إن لكم علينا العمل بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، و القيام عليكم بحقه و التنفيذ لسنته، و النصح لكم بالغيب، و الله المستعان، و حسبنا الله و نعم الوكيل. و قد بعثت إليكم قيس ابن سعد بن عبادة أميرا فوازروه و كانفوه، و أعينوه على الحق، و قد أمرته بالإحسان إلى محسنكم، و الشد على مريبكم، والرفق بعوامكم و خواصكم، و هو ممن أرضى هدية، و أرجو صلاحه و نصيحته، أسأل الله عز و جل لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمة واسعة، و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته"

و تعتبر هذه الرسالة من الرسائل المهمة التي شهدها تاريخ الكتابة الفنية في عصرها الأول، حيث تميزت هذه الرسالة بأمور منها:

1- لقد ألقى البعد الديني بظلاله على هذه الرسالة، حيث البسملة و التسليم و التوحيد و التحميد و الوعظ و الإرشاد و الدعاء.

2- و تتجلى في هذه الرسالة، اللغة الواضحة الدلالة، السهلة الأداء، و إن مالت أحيانا إلى مقومات الصنعة، على غرار ما جاء من التقسيم الصوتي، كقوله: (ليكما يهتدوا، لكيما يتطيروا، لكيما يجوروا).

بالإضافة إلى وجود بعض المطابقات اللفظية من غير كلفة أو قصد التصنع، مثل (الشد، الرفق).

و في ختام مرحلة الخلفاء الراشدين اخلص إلى النتائج التالية:

1- لقد تأثر كتاب هذه المرحلة بالقرآن الكريم و اقتبسوا منه، و تجنبوا الغريب من الألفاظ، مع الحرص على وضوح المقصد و الإقناع، دون جنوح إلى عمق فلسفي أو تعقيد فكري، فالأساليب المختارة فيها تنويع و تأثير، مع بلاغة اللفظ و المعنى، و الإكثار من الحجج و البراهين، و صيغ الإقناع و الميل إلى الإيجاز، مع اقترابها من اللغة الخطابية.[1]

2- الاعتناء بتهذيب الألفاظ، مع التأنق في صوغ العبارات، و محاكاة أساليب الكتاب و السنة، بالإضافة إلى ترتيبهم للمعاني و الأفكار دون تغلغل فيها، و قد طهر الإيجاز في أول هذه الفترة و الميل إلى الإطناب آخرها.[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص:65-66 .

[2]- أحمد الإسكندري، "الوسيط في الأدب العربي"، مطبعة المعارف، ص: 136

3- زادت الحاجة إلى الرسائل في هذا العصر لاتساع رقعة الدولة الإسلامية و لكثرة الخلافات، و حاجة الفاتحين إلى إخبار الخليفة لهم بالأحوال و المهام، و بالنسبة للولاة فقد كانت الرسائل تمثل دستورا لهم، تعينهم في ممارسة مهام أمور ولايتهم.

4- كان الكاتب في عهد الراشدين شخصا يختاره الخليفة و يجعله في بطانته.[1]

5- كانت الكتابة في هذه الفترة الناشئة مبتدئة، ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة. لغتها بسيطة، صريحة تشبه لغة الحديث، و يقصد منها الإفهام، و لم تتطور لغة الرسائل كثيرا، مع شيوع نظام الإملاء، حيث يفسح الطريق لإبراز شخصية الكاتب، و لتجويده و تفننه، و قد وجدت ظواهر عدة تدل على تطور الكتابة منها: شيوعها، و كثرتها، ووجود الدواوين و انتشارها، و ظهور الكتاب الخاصين بالولاة و الأمراء، و التجمل بالاقتباس من القرآن الكريم، و الاستشهاد بالشعر و الميل إلى التشخيص، و مع ذلك فإن الكتابة لم تكن فنية بالمعنى المصطلح عليه، و لكنها كانت تسير نحو الفن بخطا حثيثة.[2]فلا تأنق و لا قصد إلى تفنن أو زخرف في خاص.[3]

6- تميزت الرسالة أيضا بالجزالة، و الميل إلى التلميح دون التصريح، و الإيحاء دون تفسير.

7- لقد صارت الرسائل التي كتبها الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ـ من بعده نماذج تحتذى و سنة تقتفى، من حيث المضمون و الشكل و الأسلوب.[4]

4 – مرحلـــــــة العصـــــــر الأمـــــــوي:

و بعد تحدثنا عن الكتابة و ما ظهر فيها من ترسل في المراحل السابقة نقول: إن قطرات الكتابة تجمعت في بحيرة الترسل الجاهلي، و أخرى من الترسل النبوي و الترسل الراشدي، ولكن أمطار الترسل في المرحلة الأموية كانت غزيرة و قوية، حتى فاضت البحيرة و تحولت إلى بحر، جعلت المرحلة الأموية تحتل مركز الصدارة في تاريخ الترسل العربي، فكيف تمّ ذلك؟ هذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

فقد رفع الراية معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه على ربوع دمشق، متخذا منها عاصمة الخلافة الجديدة، و اتسعت رقعة الدولة شرقا و غربا، و نشطت الكتابة نشاطا سريعا ملحوظا، و عاش الناس حياة ترف و تحضر ، « و هذا التحضر يتبعه تعقيد في الحياة و تشابك في المصالح، و حاجة إلى التفاهم و التواصل، و هذا ما يطور كتابة الرسائل و ينميها »[5]

و غلب على الرسائل في عهد بني أمية الإملاء من الخليفة و أصبح هذا التصرف خطوة هامة في تاريخ تطور كتابة الرسائل و العلاقة بين الكاتب و الخلفاء، لأن فيه أهمية لشخصية الكاتب و استقلاليته.

و تعددت المكاتبات و كثرت الدواوين، و أنشأ معاوية – رضي الله عنه – ديوان الرسائل و ديوان الخاتم، و اهتم الناس بالكتابة و حاول كل منهم إظهار قدراته البيانية و البلاغية، فتظهر طبقة من الكتاب

---

[1]- عمر فروخ، "تاريخ الأدب العربي"، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1969م، ج1، ص: 375.

[2]- القلقشندى، "صبح الأعشى"، ص: 59-60 .

[3]- شوقي ضيف،" الفن ومذاهبه في النثر العربي"، دار المعارف، ط8، ص: 106-107 .

[4]- محمد يونس، " في النثر العربي"، ص: 178 .

[5]- حسين نصار، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ص: 61.

المحترفين، الذين أخذوا يعتبرون كتابة لرسائل مصلحة لأمور فنية، تختلف من كاتب لآخر، ومن مترسل لآخر، و من عصر لآخر.
و في عهد الملك بن مروان عربت الدواوين الموجودة في بلاد فارس و البلاد الشام، و في عهد هشام بن عبد الملك اشتهر هذا الديوان بالافتتان الذي يرجع إلى سالم بن عبد الله مولى هشام، و الذي تتلمذ على يديه أبرع الكتاب و أعظمهم أثرا و أبعدهم صيتا ونذكر منهم: "عبد الحميد بن يحي الكاتب" الذي تولى الكتابة لمروان بن محمد إلى أن أفلت شمس بني مروان وأشرقت شمس بني العباس.
و كما ذكرنا سابقا فقد أنشأ معاوية بن أبي سفيان ديوانيين هما: **ديوان الرسائل** و **ديوان الخاتم**، فديوان الرسائل كانت تصدر عنه رسائل تفيض بيانا، و ينضرها جمال الأسلوب و سحر البلاغة، و ديوان الخاتم مهمته أن يرسل إليه ما يكون للخليفة من توقيع، ليصدر منه مختوما لا يدري حامله ما فيه، و لا يستطيع أن يغيّره.
و إذا أردنا أن نرصد أبرز خصائص فن الترسل في هذا العصر فإننا نسجلها في ما يلي:
* ظهور معالم الصنعة في فن الكتابة: حيث الإطالة و السجع و المجانسة، و المقابلات و التصوير و حسن النسق و لازمة الحال و تجاوز الكاتب الإمتاع وكثرة التفاصيل، و نبغ الكتاب في فن الرسائل الإخوانية و الديوانية.[1]
* سيطر التوازن الإنشائي على فنون النثر العربي خاصة الرسالة، و ذلك من أواخر العصر الأموي إلى أواسط العصر العباسي كمابدا ذلك واضحا في ترسل عبد الحميد الكاتب و غيره.

* كما تطورت الرسائل تطورا سريعا لم يسيرها في ذلك فرع آخر من فروع الأدب،[2] حيث رمى بهذا التطور إلى أحضان الفن منذ أوائل العصر الأموي.[3]
* أصبحت الرسائل قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة ذات قواعد و أصول، و أصبح للرسالة مطالع فيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم أو توجه إليهم، ولها خواتيم تختلف بحسب ذلك و ظلّ الترسل في العصر الأموي في أغلب الأحيان فنا رسميا يتعلق بأمور الدولة.[4]
و مما يميز رسائل هذا العصر، حسن اختيار الألفاظ، و براعة أداء المعاني، و أناقة صوغ الكلام، مع التبسط في شرح الأغراض و الاسترسال في تفريغ المعاني.[5]

5 – مرحلة العصر العباسي(حتى العصر الثالث):

تدور الأيام و تسقط راية بني أمية، و ترتفع راية بني العباس، و تستقر أمور الدولة، و ينعم الناس بالحضارة و الثقافة، و ترف الحياة و رغد العيش، و تكثر الحاجة إلى الكتاب و الأدباء و الشعراء لتلبية مطالب الحياة الناعمة، و يظم كتاب الدواوين على مسرح الحياة ، و يتصفون بالثقافة الواسعة، وعمق أفكارهم ، و ترتيب معانيهم ترتيبا دقيقا، و وقفوا على الألفاظ المتغيرة، و المخارج السهلة، و الديباجة الكريمة، وعلى الجيد، و التنميق الذي وجد في عباراتهم بما كان لترف الحياة، و بذخ العيش أثر في ذلك.

---

[1]- مي يوسف خليف، " النثر الفني بين صدر الإسلام و العصر الأموي"، ص:160-161 .
[2]- حسين نصار،" نشأة الكتابة النية في الأدب العربي"،ص: .70
[3]- المرجع نفسه، ص: 77 .
[4]- عمر فروخ، "تاريخ الأدب العربي "، ط2،ج1، ص: 375 .
[5]- كمال اليازجي، "الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم"، دار الجليل، ط1، 1986م، ص: 63.

و في القرن الثالث هجري استمر السجع و سائر ألوان البديع في الرسائل الديوانية، و استمر في الرسائل الإخوانية أيضا في القرن الرابع عشر الهجري، وما بعده، و كان أكثر كتاب العصر العباسي يجنحون إلى السجع في كتاباتهم، و يستخدمون زخرف البديع و الترصيع.[1]

"لقد حافظ كتاب الترسل على معظم الصفات التي أوجدها (أو اتصف بها) ترسل عبد الحميد الكاتب، و بقي الأمر كذلك حتى أوائل القرن الرابع، حيث أخذت الصناعات اللفظية تنقلب تدريجيا، لتغلب الأعاجم من الديلم البوهيين، و الترك، و السلجوقيين على سلطان الخلفاء، ولنا هنا أن ندون بعض التغيرات التي طرأت على كتابة الرسائل في عصر الدولة العباسية".[2] و تتلخص فيما يلي:

تعدد أغراض الكتابة، و موضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين، و دقة المعاني و استقصاء جميع جزيئاتها، و ترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا، و العلو في الإطناب و الإيجاز، و سهولة العبارة و انتقاء ألفاظها و شيوع السجع القصير و الولع بالمحسنات البديعية، و الطباق، و التوجيه و ضرب المثل، و تضمين الأحاديث النبوية، و الاقتباس من كلام البلغاء و زيادة أنواع البدء و الختام في الرسائل، و زيادة الرسوم في الألقاب و الدعاء، و تخصيص كل ذي مرتبة بلقب أو دعاء، بها يشعر بتعظيم الملوك و الأمراء.

و جملة القول: إن الكتابة في هذا العصر وصلت إلى أرقى ما وصل إليه الإنشاء العربي.

« و تكاد المصادر تجمع على أن نمو الحضارة و السلطان في العصر العباسي، أثر في الإنشاء تأثيرا زاده تأنقا، و بنقل العلوم اليونانية و غيرها إلى اللغة العربية اتسعت لغة الكتابة ن و دخل كثير من الألفاظ الجديدة و إذا ألقينا نظرة على الأسلوب الكتابي في الصدر الأول من العصر العباسين رأينا عبارات فية تميل إلى التوازن، مع عدم التقيد بالسجع».و يرى جورج غريب، « أن الرسائل أغرقت في الصناعة، فباتت مسرحا للسجع و الجناس و الطباق و الإطناب و سائر المحسنات البديعية اللفظية و المعنوية و من تأملها و جدها أقرب إلى الشعر منها إلى النثر، و مع كثرة التضمين و الأشعار، و التخمينات و جوامع الكلام، حتى إذا قاربت نهاية العصر ثبتت لها أصول و مصطلحات». و يؤكد الدكتور علي جميل مهنا[3] « أن الترسل في العصر العباسي تأثر بأسلوب عبد الحميد، الذي يغلب عليه البسط و توازن العبارات، ومنذ القرن الرابع الهجري قويت شوكة السجع[4] حتى تغلب على سواه من أساليب الكتابة، و لم يلبث بعد ابن العميد و الصاحب بن عباد و بديع الزمان أن أصبح النمط الشائع، و صار المترسّلون لا همَّ لهم إلا التأنق بأنواع البديع»

يرى جرجي زيدان"[5] أن لكل عصر إمام في إنشاء المراسلات ، كعبد الحميد و ابن المقفع في العصر العباسي الأول ، و الجاحظ في العصر الثاني، و ابن العميد في العصر الثالث ، و يؤكد ما يراه غيره أن

---

[1]- عمر الدقاق، "ملامح النثر العباسي"، دار الشرق العربي، ص: 30 .

[2]- أحمد الإسكندري،" الوسيط في الأدب العربي"، مطبعة المعارف، ص: 197-201 .

[3]- علي جميل مهنا، "الأدب في ظل الخلافة العباسية"، ط1، 1981م، ص: 224 .

[4]- أنيس المقدسي، "الدول العربية وآدابها"، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ط6، ص: 152.

[5]- جرجي زيدان، "كتابة تاريخ آداب اللغة العربية"، ص: 265-269 .

الرخاء يدعو إلى التأنق، فتطرق ذلك إلى إنشائهم، فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم، و طعامهم و أثاثهم، و يطلق جرجي زيدان على مدرسة بن العميد الطريقة المدرسية، **و التي من صفاتها:**

السجع و الجناس و البديع، و الخيال الشعري، و التضمين و الاقتباس الشعري و الاستشهاد، و تفرع الترسل إلى أبواب كما تفرع الشعر، كرسائل التهنئة، التعزية، و المديح، و الرثاء، و الإخوانيات، والسلطانيات و غيرها، و صار للرسائل نمط خاص من حيث البدء و العرض و الختام، وصار الإنشاء فنا، له ألفاظ خاصة، سميت بالألفاظ الكتابية، و تولدت فيه مصطلحات خاصة لأساليبه و عباراته، كالتَّسجيع و التَّرصيع و التقسيم..."

المبحث الثالث: أنواعــه

و ننتقل الآن للحديث عن أهم أنواع الرسائل، و التي برزت على ساحة الكتابة الفنية مبينتين خصائص و موضوعات كل نوع.

أ- الترسل الديواني:

تسمى الرسائل التي تصدر عن ديوان الرسائل، و الرسائل الديوانية نسبة إليه، و في هذا يقولعبد العزيز عتيق[1]: «و هي الصادرة عن ديوان الخليفة، و الأمير يوجهها إلى ولاته و عماله و قادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانا منذرا متوعدا، كما ينبئنا الشريف الرضي في وصف رسائل أبي إسحاق الصابي:

و صحائف فيها الأراقم كُمَّن مرهوبة الإصدار و الإيراد
حمر على نظر العدو كأنما بدم يخطّ بهنّ لا بمـــــداد

و تتنوع هذه الرسائل فهي تشمل: الرسائل التي تصدر مشتملة على تولية العهد و تولية القضاة و الولاة و ما يتصل بأمور الرعية. كما أنها تشمل أيضا الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة، أو التعزية، أو المعاتبة و ما شابه ذلك».[2]

و قد كانت الكتابة في أواخر العصر الأموي و العصر العباسي جسرا إلى أرفع المناصب و من يدخل ديوان الرسائل يمتحن فكان لابد له من إتقان صناعة الكتابة مع ثقافة لغوية و أدبية و تاريخية و سياسية ودينية و غير ذلك.

ومن أنواع الرسائل الديوانية أيضا: « رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قاداتهم يكلفونهم فيها بالغزو و يزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، و اعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه و إعلاء شأنه، كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين منع ثواب و نعيم في الدارين ».[3]

1- موضوعاتـــــه:

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات عديدة و متنوعة، فكان منها ما ذكرناه آنفا أي رسائل الجهاد، و كان منها أيضا التي ذكرت الفتن و الاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد التشتت و التمزق الذي أصابها « كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية، و قد مالت كتب المبايعات إلى الإطناب و التطويل، و كان الكاتب يستهلها بالتحميد، و كثيرا ما يطيل في تحميده حتى تشبه خطبة دينية قائمة بذاتها »[4]و يتصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين« في التهاني بما تحقق من فتوحات و ظفر على

---

[1]- عبد العزيز عتيق، " في النقد الأدبي " ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ،ط2 1391ه-1972م ، ص223.
[2]- عبد العزيز عتيق،"في النقد الأدبي"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1391ه، 1972م، ص: 223 .
[3]- فوزي سعد عيسى، " الترسل في القرن الثالث الهجري"، دار المعرفة الجامعية، 1991م، ص: 18 .
[4]- المرجع نفسه، ص: 24 .

أعداء المسلمين، و كان استهلال رسائل التهنئة بالفتوحات سنّة متبعة بين الكتاب حتى تكاد تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية التي تجري على هذه الطريقة من استخدام التحميدات و الإكثار منها.
و تضمنت الرسائل الديواني أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم، و كانت هذه الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة، و يتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكتاب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيه بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن و متابعة شؤون و أحوال الرعية والعمل على استقرار الأمور »[1]

2- خصائصـــــــــــه:

عمل النقاد و الأدباء القدامى على ضبط القواعد التي ينبغي للكتاب السير عليها في كتابة رسائلهم، و تعتبر رسالة " عبد الحميد الكاتب " إلى الكتاب الدستور الذي سنّ هذه القواعد و أصبحت بذلك محترمة و متبعة، و قد وضع عبد الحميد القواعد الفنية التي سار عليها كتاب الرسائل الديوانية بعده، و قد ظلّت طريقته تحتذى لدى كثير من كتاب الدواوين في القرن الثالث للهجرة، و كان من هذه القواعد « التزام الكتاب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد، و قد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل التي صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة مما جعل بعض القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسائل »[2]
كما تضمنت الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم آراء و حجج الكتاب، و اتجه بعضهم إلأى تضمين أبيات الشعر و بذلك صارت الرسالة الديوانية معرضا لإظهار ثقافة الكاتب و معارفه في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية.

ب-الترسل الإخوانـــي:

لا يوجد ما نستطيع أن نسميه إخوانيات الجاهلية، و في الصدر الأول من الإسلام لم نكد نجد شيئا من الرسائل الإخوانية، غير رسالة إخوانية واحدة للنبي صلى الله عليه وسلم يعزي فيها معاذ بن جبل في ابن مات له وهذا نصها:" من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فعظّم الله لك الأجر، و ألهمك الصبر، و رزقنا و إياك الشكر. ثم إن أنفسنا و أهلنا و مواليا من مواهب الله السنّية، و عوا رفه المستودعة، نمتّع بها إلى أجل معدود، و نقبض لوقت معلوم. ثم افترض عليا الشكر إذا أعطى، و الصبر ابتلى.
و كان ابنك من مواهب الله السنّية و عوارفه المستودعة، متعك به في غبطة و سرور، و قبضه منك بأجر كثير: الصلاة و الهدى، إن صبرت و احتسبت. فلا تجمعن عليك يا معاذ فصلتين: أن يحبط جزعُكَ صَبرَك، فتندم على ما فاتك، فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطلعت ربك و تنجزتً موعودة، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، و اعلم أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا، فأحسن الجزاء، و تنجز الموعود، وليذهب أسفك ما هو نازل بك »[3].
و يطلق اسم الرسائل الإخوانية على جميع الرسائل غير الديوانية و هي التي يكتبها الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية، كالتهنئة و التعزية، و البشارة، و العتاب، و غير ذلك من أمور الحياة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 26-27 .
[2]- المرجع نفسه، ص: 30 .
[3]- حسين نصار ، "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"، ص: 79 .

يقول القلقشندى عن هذا النوع من الترسل: «الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان، و المراد المكاتبة الدائمة بين الأصدقاء»[1].

و قد عدد القلقشندى أنواع الرسائل الإخوانية حتى أوصلها إلى سبعة عشر نوعا هي:

« التهاني، و التعازي، و التهادي، و الشفاعات، و الشوق، و الإستزارة، و اختطاب المودة، و خطبة النساء، و الاستعطاف ، و الإعتذار، و الشكوى، و استماحة الحوائج، و الشكر و العتاب، و السؤال عن حال المريض، و الأخبار، و المداعبة»[2].

ولا نجد في طيات الكتب التي تحدثت عن هذا النوع من الرسائل أية إشارة إلى ما كتب في العصر الجاهلي، و لعل السبب يعود إلى قلة الكتاب في ذلك الزمن أو إلى عدم اهتمام الرواة بما كتب لانشغالهم بالشعر الذي روي منه شيء كثير و على ثقافة المشافهة التي كانت سائدة أنذاك. و أما في صدر الإسلام، « فإن ما وصلنا منه رسالة إخوانية للنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا سابقا، و قد ضاع أكثر رسائل العهد الأموي من هذا النوع و ما بقي منها فهو في النصح و الإرشاد و العتاب و التعزية و الإعتذار و الشفاعة و الرجاء و تبادل الآراء. ومن هذه الرسائل رسالة محمد بن الحنفية إلى أخيه الحسين حين افترقا متخاصمين و أراد محمد مصالحته »

و الرسائل الإخوانية ينشئها الكتاب فقد « ....كانوا يتراسلون فيما بينهم متخذين من الرسائل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم و انفعالاتهم و ما تتعرض له أحوالهم النفسية من نوازع متضاربة، فصوروا فيها ما يعتريهم من شوق و فرح و ما يتعرضون له من أحزان و أفراح، وما بداخلهم من رضا وغضب، واتسعت موضوعات الرسائل الإخوانية فأصبحت تعكس عواطف الكتاب و الصداقة و الشوق و البشارة و الفراق، و الاستعطاف و الإعتذار، و غير ذلك. و تنافس الكتاب في إظهار براعتهم في هذا اللون من الرسائل، فوفروا لها عناصر المتعة الفنية من تصوير و صياغة و موسيقى، فجمعت بين المتعة الوجدانية، و المتعة الفنية، و أحدثت بذلك تأخيرا قويا في نفوس الناس مما جعل بعض الشعراء ينجذبون إليها و يتخذونها وسيلة لتصوير عواطفهم بعد أن أصبح كثير من الناس يفضلون المنثور على المنظوم »[3].

1- موضوعاته:

تدور معظم و أغلب موضوعات الترسل الإخواني حول الجانب الإنساني و ما يرتبط من صداقة و أخوة، و عواطف نبيلة، كما عبرت عما كانت بين بعض الأصدقاء من تبادل الهدايا على اختلافها، لكن يبقى موضوع الصداقة.... من أبرز الموضوعات التي اجتذبت الكتاب ليعبروا في رسائلهم عن هذه العاطفة الإنسانية النبيلة، و أشادوا بروابط الإخاء و المودة التي تنعقد بينهم، ومن الجوانب التي تطرق لها الترسل الإخواني:

---

[1]- القلقشندى، "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، مرجع سابق، ج8، ص: 126 .

[2]- ينظر المرجع نفسه، ج9، ص: 5

[3]- فوزي سعد عيسى، "الترسل في القرن الثالث الهجري"، دار المعرفة الجامعية، 1991م، ص: 35

- **الاجتماعية:**

اتسعت الرسالة الإخوانية للموضوعات المتصلة بالصداقة « كالرغبة في التلاقي للمسامرة أو المنادمة أو الإئتناس، و عبرت ذلك عن بعض العادات الاجتماعية التي شاعت بين الكتاب آنذاك كتبادل الهدايا من كتب و زهور و خيول و سيوف و غيرها. و اتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم أو معروف أحاطوهم به»[1].

و لم تقتصر الرسالة الإخوانية على ما سلف ذكره من موضوعات بل امتدت إلى موضوعات أخرى لتشارك الشعر و فنون أخرى في ما طرقت من موضوعات و أغراض ف «.... تناولت موضوع (الإعتذار) باعتباره يمثل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب، فكان الكاتب يعتذر عن تلبية دعوة أو المشاركة في إحدى المناسبات ذاكرا به الأسباب التي حالت دون تلبيته دعوته و طوع الكتاب الرسالة الإخوانية لموضوعات أخرى كالوصايا و التشفع فكان الكاتب يوجّه رسالة إلى بعض إخوانه يسألهم فيها إنجاز أمر يتعلق بأحد معارفه أو أصحابه، و كانت هذه الرسائل تشبه ببطاقات التوصية و فيها يعتمد الكاتب للإيجاز و عرض سألته في عبارات قصيرة.

و كانت التهاني من الموضوعات التي شغلت مساحة من الرسائل الإخوانية لتعكس بذلك عادة اجتماعية وثيقة الصلة بالمجتمعات المتحضرة، فكثرة التهاني بالولاية و غيرها من المناسبات الاجتماعية السارة كالزواج، و الإنجاب و العودة من السفر والشفاء من المرض و عكست هذه الرسائل عمق العواطف المتبادلة بين الكتاب كما أظهرت براعة بعض الكتاب في التعبير عن معانيه، و قد عمد الكتاب في تهانيهم للإيجاز لتصبح رسائله أقرب إلى بطاقات التهنئة المتداولة في وقتنا الحاضر»[2].

و الجدير بالذكر أن الرسائل الإخوانية لم يشترط النقاد في صوغها و بنائها شروط دقيقة ملزمة، و إنما أطلقوا فيها العنان للكتاب للتعبير عن خواطرهم و مشاعرهم من غير قيد، لأنه ليس بين الإخوان ما يدعو إلى التكلف في الخطاب، مما جعل النقاد يفشلون في وضع قواعد و ضوابط ملزمة لكتاب الرسائل الإخوانية، كما يبينه أحمد بدوي « و قد حاول النقاد أن يضعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية، و لكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هذه المعالم بدقة»[3]، و هذا ما جعل الترسل الإخواني أكثر أدبية وأكثر جمالا من الترسل الديواني و جعل رسائله « أدخل في الأدب، و أقبل للتخييل و الصور البيانية، و الصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور و المنظوم و تنافس الشعر في جلّ أغراضه »[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 35-36 .

[2]- ينظر المرجع السابق، ص:38-39،45-46 .

[3]- أحمد بدوي، "أسس النقد الأدبي عند العرب"، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1964م، دط، ص: 32 .

[4]- محمد مسعود جبران، "في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب"، المجلد2، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004م، ص: 149-150

- **الوعظـية:**

و هناك رسائل أخرى ليست ديوانية و إنما هي رسائل وعظية، و نعني بها تلك التي يكتبها بعض الأتقياء إلى بعض الحلفاء و السلاطين و الأمراء ،يحثونهم على الصلح و التقوى و الرأفة بالرعية، و الاستعداد للموت، و ما أشبه بذلك، و من أمثلة ذلك: ما كتبه أحد أئمة الفكر الإباضي، الإمام عبد الله بن أباض إلى عبد الله بن مروان و هي رد منه على رسالة بعث بها إليه مع سنان بن عاصم.*

- **التعليمية:**

بالإضافة إلى الأنواع المذكورة سابقا ن هناك نوع آخر من الرسائل خصص للحديث عن بعض الموضوعات الأدبية أو العلمية أو الدينية أو التاريخية ، و هذا النوع من الرسائل مدخل في باب التأليف و لا يدخل في باب الترسل، و من الرسالة القشيرية في التصوف و بعض الرسائل أبي العلاء المعري مثل: رسالة الغفران و رسالة الصاهل، و الشاجح، و رسالة الملائكة. و قد عرف هذا النوع بالرسائل الأدبية، و كان الجاحظ أمير بيانه من غير منازع.

«و تعد رسالته التربيع و التدوير التي كتبها في هجاء أحمد بن عبد الوهاب أشهر الرسائل الأدبية إذ فتحت الباب لمن جاء بعده من الكتاب للإبداع في هذا اللون من الترسل في المشرق و المغرب و الأندلس على السواء و هذا النوع من الرسائل أشبه ما يكون بالمقابلات في العصر الحديث، و فيها يتناول الكتاب موضوعا خاصا أو عاما تناولا أدبيا، مبنيا على إثارة عواطف القارئ و مشاعره، و هي لا توجه إلى شخص بذاته، و إنما يكتبها الكاتب ليقرأها الناس جميعا»[1].

رابعا : خصائصه البنائية

بعد أن تحدثنا عن أنواع الترسل، سنتكلم عن الخصائص البنائية لهذه الرسائل و ما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء الرسالة، من المقدمات إلى المضمون إلى الخاتمة و ما ينبغي أن تشتمل عليه تلك الأجزاء.

أ- بنية المقدمات:

عرف البناء الهيكلي للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، منذ رسالة عبد الحميد الكتاب إلى موسوعة أبي العباس القلقشندي مرورا بغيرهما من المؤلفات التي نظّرت لهذا اللون الأدبي، و عن هذا الاختلاف يقول الكلاعي: « و نظّرت ... أعزك الله في صور الرسائل و استفتاحاتها فوجدتها أيضا تختلف»[2] و مقدمات الرسائل ديوانية كانت أو إخوانية، تشمل عادة بعد البسملة و الصلاة على النبي – صلى الله عليه و سلم – على المرسل و المرسل إليه، و تتضمن الدعاء إضافة إلى التحيّة التي تذكر قبل البعدية و قبل الختام.

و تختلف استفتاحات الرسائل، و يختار الاستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إله فقد يذكر مقدما عن المرسل بصيغة: لفلان من فلان و قد يؤخر ذكره فيكتب من فلان لفلان، و تكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته، غير أن كل الاستفتاحات كانت تراعى فيها الجودة البراعة لأنها تقع في البداية و هي أول ما يطرق السمع من الكلام و قد كان

* ينظر نص الرسالة في كتاب أبي الربيع سليماني الباروني، "مختصر تاريخ الإباضية"، الضامري للنشر و التوزيع، ط3، 1423ه، 2003م، ص: 131

[1]- عبد العزيز عتيق، "في النقد الأدبي"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1391ه، 1972م، ص: 123.

[2]- نقلا عن آمنة الدهري، "الترسل الأدبي بالمغرب"، مرجع سابق ذكره، ص: 37 .

يلجأ إلى المنظوم فتبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العم لها و تختصره في كلماتها، و كثيرا ما يلجأ الكتاب الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعها و مقدماتها كعملية ربط و حسن تخلص.

ب- بنية المضامين:

ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم و بحسن تخلص لطرق الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، و غالبا يقع حسن التخلص بصيغة: أما بعد و هي وقفة بين الابتداء و الشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة، و قد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيها الإخواني و الديواني و مست مختلف جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة و القضاة و الأمراء و في الإخوانية يتبادل الأصدقاء الرسائل و يتطرقون فيها إلى الشوق و الإعتذار و التهنئة بالزواج و المولود الجديد و التعزية و الشكر و الدعوة إلى حضور المناسبات و غيرها من الموضوعات.

ج- بنية الخواتم و النهايات:

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها و يكون في الغالب بلفظ " السلام " أو "السلام و رحمة الله تعالى و بركاته" «و تكون مسبوقة بالدعاء، كما تشتمل كثير من الرسائل التأريخ باليوم و الشهر و السنة كعلامة على انتهاء الرسالة إن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية و يتم التأريخ بما مضى من الشهر باعتباره معلوما و يشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة و حسن لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع[1]، على أن هذه العناصر البانية للهيكل العام للرسائل غير ثابتة و مستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها في بعض الحالات.

و إذا نظرنا إلى الرسائل التي كتبت في العهد الرستمي موضوع بحثنا نجد تلك الرسائل تشتمل على هذه العناصر التي دأب الكتاب على إتباعها في كتابة رسائلهم، إلا أن الرسائل الرستمية التي وقعت بين أيدينا لم يرد بها ذكر المكان التي كتبت فيه و لا تاريخ الرسائل و إنما اشتملت على :

البسملة و الصلاة على النبي – صلى الله عليه و سلم – و الحمدلة و ذكر المرسل و المرسل إليه و الموضوع المطروق في الرسالة.

هذا بإيجاز ما يمكن أن نقوله عن فن الترسل في تاريخ الأدب العربي منذ أن عرف العرب هذا اللون من الفنون النثرية، فماذا عن فن الترسل في العهد الرستمي؟ و هو ما سنتطرق إليه في صفحات بحثنا القادمة بحول الله تعالى.

[1]- ينظر محمد توات، " أدب الرسائل في المغرب العربي، ص: 381 و وما يليها.

الفصل الثاني : **فن الترسل في العهد الرستمي** :

المبحث الأول : تأسيس الدولة الرستمية:

استولى أبو الخطاب على القيروان ،فعزم أبو جعفر المنصور على إفتكاكها منه فولى **محمد بن الأشعث** مصر والمغرب وأمره بحرب البربر،فجهز **ابن الأشعث** جيشا بقيادة أبي **الأحوص عمر** و**ابن الأحوص العجلي** وبلغ أبا الخطاب قدوم أبي الأحوص إلى افريقية فترك بالقيروان عبد الرحمان بن رستم واليا وذهب ،هو إلى طرابلس كي يعترض جيش **أبي الأحوص** وذلك سنة **41هـ** ،ولما نشبت الحرب انهزم **أبو الأحوص** سنة **42هـ** فخرج **ابن الأشعث** نفسه منه مصر يقوة الجيش وبلغ خبره أبا الخطاب فأرسل إلى **ابن رستم** بتجهيز الجيوش واللحاق به ولكن **ابن الأشعث** بلغ طرابلس مدد عيد الرحمان ،فدارت الحرب واشتد القتال وانجلى عن قتل **أبي الخطاب** في صفر سنة **44هـ** .

ولما كان عبد الرحمان **بقابس** بلغه وفاة أبي الخطاب فنفك جيشه وتفرق عنه وثارت **قابس** بعاملها .فكر عبد الرحمان فألقاها ثائرة عليه أيضا ،فأحتمل أهله وولده وتوجه إلى المغرب الأوسط ونزل على **" لماية "** من قبائله وكانت قبائل غير إباضية أيضا ولكنه إطمأن إلى لماية لقديم حاف بينه وبينهم ،فإن النزعة الذهبية وحدها لا تكفي وقد شاهد قبل عام ثبات الإباضيين عنه.

نزل عبد الرحمان جبل **"سوفجج "** فقصده ابن الأشعث في جيش عظيم ،ونزل سفحه وخندق على معسكره وحاصر الجبل زمنا فامتنع عليه وللما طال مقامه استشار أركان حربه فبعضهم أشار المقام حتى يفتح الجبل وبعضهم أشار بالإقلاع والعود إلى القيروان ،فأقلع عن الحصار لما رأى من مناعة الجبل واختلاف كلمة أصحابه.

وبقي عبد الرحمان في الجبل وقصده الأباضية هناك من كل مكان حتى جبل " نفوسة " بطرابلس ،ولما كثر جمعه خرج من حصن الجبال إلى حصن الرجال ،وفكر هو وأصحابه في تأسيس مدينة تكون رمزا لإستقلالهم وحصنا يمتنعون به،على من ناوأهم ،فأنشأوا مدينة تيهرت سنة 144 وبذلك تأسست الدولة الرستمية وحافظت على استقلالها زمنا طويلا ،ولم يكن أباضيتها كغالب الخوارج همهم الثورة بل كانوا كخوارج العرب همه تنظيم دولة على مبادئهم.

ومن هنا يظهر أن تأسيس الدولة الرستمية بعد جواز عبد الرحمان ابن معاوية إلى الأندلس :" وقال المقري في نفح الطيب عن ابن عبد الحكم أن عبد الرحمان بالداخل لما فر بني العباس ودخل المغرب الأوسط استجار بني رستم ملوك تيهرت وتقلب في قبائل البربر حتى استقر بساحل البحر عند قوم من زناتة ،وهي رواية مشكلة لأن بد عبد الرحمان دخل الأندلس سنة 138 قيل تأسيس تيهرت بستة سنوات إلا أن يكون لعبد الرحمان بن رستم نفوذ ديني في بعض قبائل المغرب الأوسط فقد ذكر ابن خلدون وغيره أن حلقة مع **" لماية "** قديم ،فاستجار به عبد الرحمان الداخل لذلك ،وعلى أن يكون ابن عبد الحكيم تجوز

في قوله ملوك تاهرت يريد الذين صاروا ملوكها من بعد ويرشح صحة رواية ابن عبد الحكيم على ذلك التجوز أنه كان بيت رستمي تيهرت وأموي الأندلس علاقات حسنة "[1].

والمملكة الرستمية واقعة بين مملكة الأغالبة شرقا والآدارسة غربا ،وتمتد شمالها ممالك صغيرة للعلويين من إخوان الإدارسة ،وينفسح لها المجال جنوبا إلى ورقلة ويمتد شريط على وادي ريغ إلى الجريد وجبال دمر إلى طرابلس وجبال نفوسة.

وقد ذكر **المقدسي** وهو يتحدث عن موقعها ولجوء الغرباء إليه قائلا :"هي بلخ المغرب ،قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار وكانت في البساتين ونيعت حولها الأعين ،وحل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وقد أخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا هي بلد كبير كثير الخير رحب رقيق طيب رشيق الأسواق غزر الماء جيد الأهل قديم الوضع محكم الرصف عجيب الوصف بها جامعان على ثليثي البلد وقد بنيا بالحجارة والحجر قريبان من الأسواق ،ومن دروبها المعروفة أربعة: باب مجانة ،درب المعصومة درب حارة الفقير درب البساتين بقريها مدينة " **رهـا** " وقد خرجت ..... " [2].

- وقد ذر ابن الصغير في كتابه أخبار الأئمة الرستمين أن عبد الوهاب ثاني أئمتهم " وإن له ما لم يبن لغيره حتى أنه حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان وأجمعت عليه كلمة الناس إلى أن حدثت الفرقة بتداخل العامة في شؤون الملك وطلبها عزل قاضي تيهرت وصاح بيت المال وصاحب الشرطة فلم يصبها عبد الوهاب وحدثت الفتنة " [3].

وهذا الامتداد للملكة إلى ناحية تلمسان إنما كان أيام عظمة عبد الوهاب قبل حدوث الفتنة ،ونقل الباروني عن أبي عبد الله كتابه سنة 375 نسبة مدن كثيرة إلى تيهرت وبني قوله على هذه الرواية :« كل المدن الكبرى الواقعة الزاب وفاس وسجلماسة داخلة في مملكة تيهرت » .

ويمكن أن نحد الجزائر الرستمية بعد انفصال تلك الإمارات عنها بتلول منداس شمالا إلى قرب غليزان .ويذهب الخط جنويا من هناك إلى فرندة وينعطف شرقي جبل العمور لأن أهله يومئذ بنو راشد وهم غير إباضية وأولوا قوة ،ومن هناك يذهب إلى وطن ميزاب إلى ورقلة ،هذا في الجهة الغربية ومن الجهة الشرقية يذهب الخط إلى تيس مسيل والسر سر ويتصاعد إلى ثنية الأحد .ويذهب مشرقا إلى قصر البخاري وأعالي وادي شلف.ويذهب جنوبا شرقي الأغواط إلى تقرت ووادي ريق ،وظهر أن هوارة أوراس خارج هذا الخط كانت خاضعة لتيهرت للعصبية المذهبية.

---

[1]- محمد الميلي : "تاريخ الجزائر في القيم والحديث" دار الكتاب العربي- 2011 –ص- 384-.385
"سوفجج" :جبل على مقربة من تيهرت * - " لماية' قبيلة بربرية كانت صفرية متطرفة.

[2]- المقديسي :" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " – مكتبة مشكاة الإسلامية د.ت.ط.د ص 117.

[3]- مبارك الميلي : المرجع السابق –ص 385.

والدولة الرستمية مستقلة استقلالا تاما ،وحكومتها كسائر الحكومات الإسلامية مقيدة بالكتاب والسنة وأثر السلف .فهي دستورية إنما دستورها الذي تقبله العقول وتذعن له القلوب ،فهي في غنى عن مجلس تشريعي ،إنما حاجتها لرجال الدين والسلطة التنفيذية للرئيس وأعوانه ،والقضائية مستقلة تماما.

والرئيس الأعلى يعين بالانتخاب لمدة حياته أو بالعهد إليه من سلفه ويلقب الإمام والخليفة وأمير المؤمنين .ولايدعى هذه الألقاب من رؤساء الدول الصغرى غير الخوارج وللإمام مستشارون كالوزراء في الدول الكبرى وحفظة لبيت المال ومحتسبون ورجال شرطة.

وظيفة المحتسبين الرفق بالحيوان وقمع الغش والمحافظة على النظافة فيؤدبون الغاش وخففون حمل الدواب ويأمرون بإزالة القاذروات والشرطيون يطوفون بذروب المدينة وانتهجها لحفظ الأمن وتغيرالمنكر ولما أضعفت الفتن الدولة كثر الفجار وشربه الخمور ،فلما كانت إمامة أبي حاتم ولي الشرطة رجلين اشتد أي تغير المنكر فكسرت خوابي الخمر وشربت الغلمان وأخدادهم في الجبال.

وكان القاضي دار وسجل وحاتم ،وولي القضاء على عهد أفلح محكم الهواري من أهل أوراس فتنازع أبو العباس أفلح وصهر له على الأرض ،وترافعا إلى أفلح فردهما إلى القاضي فسبق أبو العباس وجلس حذاء القاضي واستسقى جاريته وبصر الخصم بمنزلة أبي العباس فجلس خارج الباب،فلما رآه القاضي سأله عن موقفه فأخبره الخبر غضب من هذا التحليل ووبخ أبا العباس واستسقى الخصم وسقاه ماد إظهار المساواة وهذا ضل القضاء الإسلامي يوجب التسوية بين الخصوم.

وانصهرت تحت لواء الدولة الرستمية كل البلاد الجزائرية الحالية ،تقريبا « وكان نظام الدولة الرستمية الإباضية المذهب نظاما محكما مقاما على الشورى وانتخاب الإمام» [1].

وقد كان انتشار " **المذهب الإباضي** " في ربوع المغرب الأوسط ومسارعة كثير من القبائل إلى الانضمام ونصرة الأئمة الرستميين كانت له أسابه الوجيهة ،فق ساعد على انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب الأوسط ولم يكن انتشار المذهب الإباضي إلا بعد أن رأى أصحابه ما كان يدور في أيام الخلافة الأموية والعباسية على الرغم من أن أئمة الدولة الرستمية كلهم من البيت الرستمي إلا أن ذلك كان يتم وفق نوع من الديمقراطية لأن اختيارهم كان يراعي فيه انتخاب الإمام والموافقة عليه من قبل الرعية.

هكذا تأسست دولة الرستميين « إسلامية في قضائها عربية في معارضها بربرية في عصبيتها فارسية في إدارتها» [2].

- ويذكر أن الأئمة اختاروا تيهرت ،بعد أن «حاولوا أن تكون في طرابلس ثم في القيروان م في طبنة فأخفقوا في جمعها بقرب هذه المراكز من الشرق ولسهولة المواصلات في هذه النواحي» [3].

---

[1]- بوصوري ناصر:" فن الترسل في العهد الرستمي – مقاربة أسلوبية "- جامعة قاصدي مرباح - ورقلة ،ص2007.

[2]- محمد علي دبوز :" تاريخ المغرب الكبير ج 2" – دار الإحياء الكتب- 1382- 1963 – ص- 293.

[3]- مبارك الميلي : مرجع سبق ذكره – 385.

- وكان ذلك سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة (**145هـ**) خمس وستين وسبعمائة ميلادي (**765هـ**) ويرجع مؤسسها عبد الرحمان بن رستم بالخلافة سنة **160ه**- وكان أول مؤسس لدولة إسلامية جزائرية مستقلة وعن عبد الرحمان تروي الكتب أنه فارسي ونسب البكري ررسما إلى بهرام بنذو شرار بن سابور بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي ،فيكون عبد الرحمان من سلالة الملك وجعله ابن خلدون من ولد رستم أمير الفرس يوم القادسية وهو ليس من بيت الملك بل هو أرمني.

بويع عبد الرحمان أولا بالإمارة ثم بالإمامة سنة **60** بعد وفاة إمامهم أي حاتم وقد مره لأنه لا قبيلة له تحميه إذا جار وكان عالما زاهدا متواضعا يجلس في المسجد للأرملة والضعيف ،لم تخد القصور سكنا بل كانت له دار متواضعة في تيهرت بسكنها وحده وكان لسيرة هذا الإمام الأثر الطيب الذي جعل الكثير من يقصدون تيهرت للإستيطان من مختلف الجهات الإسلامية في ذلك الزمان .

يقول الباروني : فأستقر رأيهم بعد طول مذاكرة على نصب الإمام الولي ناشرا لواء العلم والدين عبد الرحمان بن رستم – رحمه الله- لما فيه من حميد الخصال ومجيد الأعمال ولعزم المسلمين على تقديمه بطرابلس لولا امتناعه ولرضاء الإمام أبي الخطاب - رحمه الله - عن أن ولاه قاضيا ثم عاملا كما مر وقد تكلم العلامة المؤرخ ابن الصغير المالكي المغربي في تاريخه على خلفاء بني رستم كلاما يروح الأنفس ويشفي الغليل تأتي ببعض ما وقفنا عليه منه مع الأسف على ما فقد ولم نعثر له على حبر كما بحثنا عنه."([1])

كانت الدولة الرستمية دولة جمهورية عادلة ديمقراطية تقوم على الإمامة الإسلامية ،وكان صدرها يفيض بالإخاء لكل المسلمين وكانت كالمسجد تفتح أبوابها وترحب بكل الأطهار ،وتجتمع فيها كل الطوائف الإسلامية وهم الوداد والاحترام الذي تفيض به صدروهم كالألوان المختلفة في الزرابي الجميلة ،والزهور المنتزعة في القبائل البديعية يزين بعضها بعض،ويظهر كل لون ما في صاحبه من الروعة والحس والجلال،ويكون كل منهم للآخر وإن حالفه في المذهب أو الجنس كالوجوه البيضاء التي تشب وتبرر جمال وسحر وبهاء ما فيها من عبود سوداء إن حرص الدولة الرستمية على الإمامة الإسلامية ،وعلى العدل والتمسك بالدن في أئمتها هو الذي جعلها تحصر إمامتها بإرادتها واختيارها الحر في عائلة واحدة [(2)].

ولما شهدته عاصمة الرستميين من تطور وازدهار ورقي جهلها قبيلة تشد إليها رجال الباحثين عن الإستقرار الذي كان مضمونا للجميع على تعدد وتنوع مشاربهم ومذاهبهم.

قد كانت الدولة الرستمية على هذا الصفاء الذي يملوها الدين تتمسك به وعلى هذه الإخوة الإسلامية الكاملة وكان الإمام أفلح مثالا للعدل وحسن السياسة فبلغت الدولة في عهده نضوجها الكامل.

المبحث الثاني: اهتمام الرستمين بالعلوم والآداب:

[1]- سليمان باشا الباروني : " الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية " – موقع : دار الإستقامة- ص 42

[2]- محمد علي دبوز : المرجع السابق – ص 541.

نشأت الدولة الرستمية في بداية تاريخ المسلمين العلمي ما كان من إقبال المنصور العباسي فمن بعده على تجهيز المسلمين بالعلوم والمعارف بعد ما قضوا لبانتهم من الآداب العربية وبلغوا فيها الدرجة السامية أيام بني أمية.

فما إن استقر حكم بني رستم بتيهرت وما حولها حتى بادروا إلى تأسيس المدارس والمكتبات وغدت تيهرت كباقي عواصم العالم الإسلامي الأخرى بل وتتفوق على كثير منها في جوانب عديدة. وقد عني الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الإسلامية،ولكن عنايتهم بالعلوم الدينية اشد،فكانوا أئمة في العلم كما كانوا أئمة في السياسة يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام والأخبار والأشعار والعلوم الرياضية ،واشتهروا بالتنجيم والرمل فلم يكتف الرستميون بتشيد المكتبات وإعمارها وجلب الكتب إليها من كل مكان بل كانوا أئمة وعلماء في التدريس والتعليم ،ولكثرة جمهعم للكتب وجدت مكتبات ضخمة وعديدة من أشهرها " المعصومة " وهي صومعة مملوءة بالكتب في مختلف المعارف والفنون وهي موجودة بتيهرت وقد قام العبيدون بقيادة أبي عبيد الله الشيعي بإحراقها ،ماعاد الكتب الرياضية والصنائع والفنون الدنيوية.

ورغم أن أئمة الدولة الرستمية كانوا رجال دولة وحكم وسياسة إلا أن إلا أنهم لم يفهموا فرصة التدريس والتعليم في المساجد والتأليف .ولم تكن عاصمة الدولة تيهرت وحدها منصب فيها العلم والمعرفة بل إمتد إلى بقية الولايات والمناطق مثل جبل نفوسة الذي كأنه منبرا ومنبعا للعلم وذلك بإنشاء المكتبات وتعميرها بمختلف الكتب والمؤلفات وينتمي العالم الإباضي المشهور الشيخ عمروس بن فتح صاحب كتاب أصول الدنيوية الصافية والشيخ مهدي النفوسي وأبو الحسن الأيدلاني وغيرهم من العلماء.

وقد كانت بيوت العلماء مدارس يقصدها طلاب العلم من نادو رجال وهنا يبرز مكانة المرأة في المجتمع الإباضي.

وقد كان لبني رستم اهتمام خاص بالعلوم الدينية والأدبية « فعبد الرحمان كان مفسرا وله في التفسير تأليف وابنه عبدالوهاب برز في العلوم الدينية ونبع أفلح في الأدب وله في فضل العلم ومزياه والتحريض عليه» [1].

قصيدة مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا بريك أشخاصهم روحا وأبكارا

« وأرسل عبد الوهاب إلى إباضية البصرة ألف دينار ليشتروا ل بها كتبا ،فلما بلغتهم اشتروا ورقا استنسخوه كتبا فكان مقدار ذلك حمل أربعين عملا وجهوها له واتصل بها » [2] وقد كانت في مختلف التخصصات من فقه وطب ورياضيات وغيرها من العلوم ،تناولها أبدي الطلبة التي لم يتق منها إلا ما

[1]- ينظر مبارك الميلي : " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " – دار الكتاب العربي- 2011 ص 385.
[2]- المرجع السابق – ص 395.

ذكرته الكتب وتداولته الدولة الرستمية التي ينصب اهتمامهم على نشر العلم والتعليم في أرجاء الدولة باعتباره أحد الأركان الرئيسية في بناء الدول .....

- هذه الحياة الفكرية التي كان لها ارتباط كبير بالمشرق العربي ،خاصة وأن المذهب الإباضي كانت بذرته الأولى هناك حيث ظهرت كل المذاهب في ظل الثراء الفكري الذي عرفته الضارة العربية في عصورها الأولى حيث عرفت حركة عظيمة في التأليف والترجمة ،وظهر المشغلون بعلم الكلام ونشطت الفلسفة فوجد صراع فكري مع خول كثير من الأمم في الإسلام ونقلها لثقافتها وعلومها وبالتالي وجدت مذاهب عديدة في الدولة الرستمية ودارت في ربوعها " وكانت العربية هي لسان الدولة الرسمي التي بها تتم المعاملات الرسمية وفي جل علومهم وآدابهم أيضا ،إن جل عنايهتم بالعلوم الدينية التي لا لغة لها غير العربية ".

ولم تفر الحكومة الفارسية في نشر اللغة الفارسية أو اتخاذها لغة رسمية إذ لا داعي لذلك لا من حيث الدين ولا من حيث السياسة ،فالدين لغة عربية وكون بني رستم في غير وطنهم حيث قوم أشداء في عصبيتهم مما يدعوهم إلى إعفاء العصبية الجنسية وإحياء الرابطة الدينية التي لا يجمعهم بالبربر غيرها.

وافتقدت الأمة البربرية بحكومتها والناس على دين ملوكهم في العناية بالعربية وعلومها وآدابها ،ولم يدهم عنها ثورتهم على الحكومة العربية أن للثورة أسبابا ،يغلط جدا من بينها عداء البربر للعرب جنسيا أو دينا أو علميا إذ ليست فكرة عداء العرب والعربية موجودة لدى الأمم الإسلامية يومئذ ،وإنما هي وليدة عصرنا الحاضر تستر بها الملحدون توصلا لعدم التعاليم الإسلامية ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الملحدون.

وعاشت البربرية مع العربية عيشة العامية اليوم مع الفصحى وكل من البربر شعراء بالبربرية مجيدون نظير ما نسمع اليوم من قصائد عامية بليغة وألفت بها التأليف الدينية حربا من رجال الدين بل إيصال عقائده وعبادته إلى العامة إذا لم يكن البربر يحسنون طبيعا جميعهم العربية.

وكانت الدولة الرستمية دولة الأخوة الإسلامية الكاملة ،قد فتحت ذراعيها لكل الناس ورحبت لكل الطوائف وقصدتها الأجناس من كل أنحاء العالم وكان بها اليهود والنصارى كما كان فيها العجم والعرب والسودانيون والأروبيون من صقلية وايطاليا والأندلس والجزر الأخرى القريبة من المغرب وكانوا يتوافدون عليها للتجارة والعمل أو التعلم أو للإقامة ،كما قصدت الدولة الرستمية كل الطوائف الإسلامية من المشرق فاستطونتها وكان فيها الكوفيون والبصريون والمصريون والخراسانيون ، وغيرهم وكانوا جميعا يجدون من الدولة الرستمية الجمهورية العادلة،كل إعزاز واحترام وكل عدل ومساواة لا تفضل البربر أبناء الوطن الأصلين عليهم ولا تعاملهم كغرباء إنهم إما أ يكونوا من الأديان الأخرى فهم أهل الذمة ،على الدولة رعايتهم وحمايتهم وتعليمهم والأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم.

إن الدولة الرستمية متمسكة بالدين كل التمسك فدستورها هو الشريعة الإسلامية التي فرضت لنبر المسلمين حقوقهم كاملة وقررت لهم من الحقوق الإسلامية كل ما يورثهم الهناء الكامل وبهذا نال اليهود والنصارى وغيرهم كل حقوقهم لأن تلك الحقوق يفرضها دستور الدولة.

وكانت تيهرت والدولة الرستمية كلها وطنا محبا لكل المسلمين في المشرق والمغرب فهاجرت إليها جماهير كبيرة حتى العراق الذي فيه العباسيون الملكيون وحتى القيروان التي كانت ملوكية متطرفة حاقدة على الدولة.

لقد كانت اللغة العربية الشرفة هي اللغة الرستمية للدولة الرستمية ،بها يخاطب أئمتها و رؤساء الدولة وولاتها وعمالها في صلاة الجمعة والأعياد ،وبها يلقون دروسه على التلاميذ وبها يعظون العامة في وقت الوعظ والإرشاد ولها يكتب الأئمة مناشيرهم التي يبعثونها في كل عام وفي كل المناسبات إلى كل الأطراف المملكة لتقرأ على الرعية فتعيش مع إمامها متصلون هم بأطراف المملكة بهذه الوسيلة ،فينتفعون روحهم ويغسلون صدورها مما توقعها الأيام فيها من غبار يطمسها وما ينفح أعداء الدولة والكائدون لها في أطراف الدولة البعيدة مركز الإمامة من أفكار وعدوى نفسية.وكانت اللغة العربية ي لغة التأليف فجل كان بمكتبة المعصومة العامة تيهرت من كتب كان باللغة العربية ،وما وصلنا من كتب تلك العهود كان باللغة العربية .لقد كانت العربية هي اللغة العلمية ،واللغة الأدبية واللغة الرسمية في الدولة الرستمية ،فبها ينظم الشعراء وبكتب الكتاب. فالدولة الرستمية تقدس اللغة العربية وتنشرها فانتشرت في ل طبقاتها فصار أهل المدن كلهم يقرؤونها ويفهمونها ويتذوقون بلاغتها ،وكانوا لا يحترمون الخطيب والواعظ إلا إذا كان لامه بالعربية الفصحى.وكانوا العلماء والوعاظ والموشون ويحثون الناس على تعلم اللغة العربية وكانوا يرونها أعظم الفنون،وأقدس العلوم ويرون في تعلمها من الأجر والنفع ما ليس في عل من العلوم ،فهي أساس الدين ومفتاح العلوم.

وكانت اللغة العربية لانتشارها ،واصطباغ الألسن في الدولة الرستمية بها ،قد فاضت على اللغة البربرية فمازجتها ودل فيها كثير من الألفاظ العربية فترى لغة أهل المدن لاسيما العلماء إذا تكلموا بالبربرية ثلث ألفاظها عربية قد تبربرت ،وكان العوام الذين لا يستطيعون الكتابة باللغة العربية يرفعون شكواهم إلى الإمام مكتوبة بالبربرية ،ولكن هذا لا يقع إلا في القرى النائية أو في رؤوس الجبال المنقطعة أما أهل المدن وأغلب القرى فقد كانوا يحسنون العربية ولهذا نجد ثلث اللغة البربرية فيها عربية فصيحة خاصة لغة المثقفين ثقافة عالية وعد حديثهم بالبربرية إذا أسهموا نصفه عربية،قد مازجت البربرية وانسابت فيها وصبغتها يلونها ولهجتها.

وبهذا كله أصبحت تيهرت معدن العلم والأدب ومحط رجال الطلبة فقد سب إليها علماء كثيرون في مختلف الفنون منهم الشيخ أبو سهل ،كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري .

وقد شهدت فترة الرسمتين ظهور أدباء جزائريين وطنا ومولدا ،فقالوا الشعر وأجادوا فيه وتناولوا النثر وبرعوا فيه وذاع صيتهم خارج البلاد ومنهم الشاعر التيهرتي " **بكر بن حماد** "[1] و" **ابن خزار**"[2] فقد كان "

[1]- بكر بن حماد التاهرتي : هو أبو عبد الرحمان بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي، نشأ بتيهرت وارتحل إلى المشرق في حاثة سنة 17هـ ثم انتقل إلى القيروان ومنها إلى المشرق وكانت وفاته بقلعة ابن حمة في مدينة تيهر 296هـ.

[2]- من شعراء الجزائر في القرن الثالث الهجري..

بكر بن حماد" نابغة في الأدب واشتهر بالشعر وله عدة قصائد طويلة الجيدة في الأغراض المختلفة من غزل ووصف ومدح وهجاء وشعره كثير تناقله الرواة شرقا وغربا ومنه قطع مبعثرة في بطون الكتب وماروى له **التنسي** قوله:

تبارك من ساس الأمور بعلمه ودل له أهـــل السمـوات والأرض [1]

ومن قسم الأرزاق بين عبـاده وفصل بعض الناس فيها على بعض

فمن ظن أن الحرص فها يزيده فقولوا له يزداد في الطول والعرض

أما في ميدا النثر فقد كان الأئمة الرستمين رسائل وخطبا منها ما ثبت على الإمام أفلح بن عبد الوهاب " على حين أفلح بن عبد الوهاب وجه رسالة الثالثة لا تخرج عن وجه الرسالتين الأوليتين." [2].

ورسائل أخرى لعبد الوهاب بن عبد الرحمان ولأبي يقظان محمد بن أفلح وغيرها من الرسائل التي احتفظ بهـــا فـــي مؤلفـــات عديـــدة التـــي تناولـــت الدولـــة الرســـتمية

المبحث الثالث : الحياة الثقافية في تيهـرت:

تيهرت مدينة بربرية بنيت في ربوة فاعتنى بها ملوك البربر قبل الرومان فحصنوها وكانت من المراكز المهمة في المغرب الأوسط كما اعتنى بها الرومان والروم فجعلوها مقر أسقفية نصرانية في المغرب الأوسط وكانت هذه المدينة من حصون المغرب المنيعة لعلو أسرارها وللربوة التي بنيت فيا وقد غزاها عقبة بن نافع رضي الله عنه في هجومه على المغرب الأوسط فاحتلها وكانت عاصمة نواحيها حتى نشأت تيهرت الحديثة وقد نسبت إلى الأمراء الذين يسودون فيها فإن المغرب الأوسط الجمهوري قبل نشأة دولة أبي الخطاب وبعد انفصاله عن الدولة الأموية في آخر أيامها كان منقسما أيامها كان منقسما إلى ممارات ففي كل إمارة رئيس يدير شؤونها ومع القديمة عاصمة لإحدى تلك الإمارات ،وقد نسبت تيهرت القديمة إلى عبد الخالق ،وإلى ابن بخانة قال : " تيهرت الحديثة وهي خمسة أمال من تيهرت القديمة وهي حصن ابن بخاتة " وقال أيضا ابن حوقل :" تيهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة والقديمة ذات سور ،وهي على جبل ليس بالعالي وفيها كثير من الناس وفيا جامع " ([3]).وكانت تيهرت القديمة لسرفجانة قوم من البربر ولما وصل عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط و أراد بناء مدينة تكون عاصمة للدولة بدا له ولخاصته أن يجعلوا تاهرت القديمة هي العاصمة فبنوا ولها ووسعوا نطاقها ،إنها في مكان منيع وحولها أمكنة فسحة تستطيع أن تمتد إليها ،فشرعوا في البناء ولكن مانع حدث فتوقفوا قال البكري:" تاهرت القديمة وهي حصن فجانة وهي في شرقي الحديثة ويقال إنهم لما رأوا بناء تاهرت كانوا

[1]- المبارك الميلي : " تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2"- دار الكتاب العربي –دط - 2011،ص 398- 399.

[2]- عيد المالك مرتاض :" الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور): دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع –د.ط - 2009،ص 94.

[3]- محمد علي دبوز: " تاريخ المغرب الكبير ج2 " – دار الإحياء العربية – ط2 – 1383هـ- 1963م- ص 262.

يبنون النهار فإذا حل الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة وهي على خمسة أميال من القديمة " [1].

أما تيهرت الحديثة أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة (**44هـ - 761م**) غربي القديمة على خمسة أميال منها محاذية لتاقدمت، وقد غلط بعضهم فسمي تيهرت الحديثة ،تاقدمت وموضعها كان غبضة أشبه مملوكا كالقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فأرادهم عبد الرحمان على البيع فامتنعوا فأكتراه منهم يخرج الأسواق وشرعوا في تأسيسها فعمرت اتسعت خطتها،وطار صيتها حتى دعيت عراق المغرب وبلغ المغرب إلحاقا بهما في المعارف والعمران والحضارة.

وقال البكري : " مدية تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب باب الصبا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاح وغيرها ،وهي في سفح جبل يقال له قزول وهو بتخفيف الزاي وهكذا يدعى اليوم ولها فصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى **مينة** وهو في قبلتها ونهر آخر يجري من عيون تجمع تسمى تاقش ،ومن تاقش شراب أهلها وبساتينها وهو في شرقيها ... وهي شديد البرد كثيرة الغيوم والثلج " [2]

قال بكر بن حماد : ما أخشن البرد وريعانه وأطراف الشمس بتاهرت [3]

تبدو من الغيم إذا بدت كأنهما تنشر من تحت

فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الروح على السم

تفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

كانت تيهرت بحضارتها وجمالها فتنة لكل لب ،فيها القصور الفخمة الزدانة القباب والجدران بكل النقوش البديعة وكانت الأسواق عامرة من بضاعة نفيسة وكانت لها مراس على ح المسلمين ،بحر الأبيض المتوسط منها تنس ومستغانم ووهران ،تصدر منها بضائعها إلى الأندلس وتستورد وقد كانت تيهرت موصولة بشبكة من الطرق التجارية بكل الجهات فازدهرت التجارة والصناعة ،فاحتملت القيروان وغيرها من قواعد المغرب ،وقد اشتهرت الدولة الرستمية وتيهرت بالعدل والديمقراطية الإسلامية التامة،وبالإخوة والسلام والحرية فالعدل هو سبب الازدهار وهذا ما أدى إلى توطيد الصلات الثقافية والعلاقات الاقتصادية التي أقامتها الدولة الرستمية معه السودان وأفريقية والأندلس وتنوعت هذه الثقافة دينية وأدبية وعلمية وشملها الرستميون برعايتهم فازدهرت ونمت في العاصمة تيهرت ونواصيها ومن

[1]- نفس المرجع: ص 263.
[2]- المبارك الميلي : مرجع سابق – ص 405.
[3]- المرجع نفسه: ص 405.

مظاهر الثقافة وجود طوائف عدة كانوا يجتمعون للمناظرة واالمباحثة في دائرة الأدب وقانمون العلم بغاية الحرية قال ابن الصغير:" ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله ذلك" [1].فأصبحت مدينة تيهرت معدن العلم والأدب ومحط رحال الطلبة والعلماء حتى قال فيها البنا :" يفضلونها على دمشق وأخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا "[2].

وقد نسب إليها علماء كثيرون في مختلف الفنون قد ذكر الباروني طائفة منهم ومنهم أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البراز وأيضا الشيخ أبو سهل لقد كان أفلح أهل زمانه.

ومن مظاهر اهتمام علماء تيهرت كلما طهر في المشرق كتاب جلبوه إلى المعصومة،وذلك لمنافستهم العلمية في بغداد ،فكانونا يرسلون البعثات إلى المشرق للتزود بالعلم والكتب ،كما أنهم إهتموا بالترجمة فكانون لهم مترجمون بالفارسية والرومية " فقد نقل **الكعاك** عن المجلة الأسيوية الفرنسية الصادرة سنة **1843م** أي يهود قريش التاهرتي من أهل القرن الرابع كان يحسن العربية والعبرانية والبربرية والآرامية والفارسية عالما بها جميعا متضلعا فيها،وقد اهتم بالبحث في اللغات وحاول المقاربة بين العبرانية والعربية والبربرية وهو واضع أساس النحو التنظيري " ([3]).

وعلى الرغم مما كان بين الأمويين في المشرق والرستمين فإن أمويي الأندلس ربطتهم علاقات طيبة بالرستمين شملت الجانب الاقتصادي والجانب السياسي حتى الجانب الثقافي، فأما الجانب الثقافي فقد لعبت العلاقات التجارية بين الدول الرستمية والدولة الأموية في الأندلس على أئمتها ،فقد تقف في وجوه العباسين فلا يبغون بها شرا وقد كانت الدولة الرستمية صلة الدولة الأموية في الأندلس بالمشرق وكانت الطريق الآمن لقوافلها إلى المشرق.

وقد وجد في تيهرت علماء أجلاء وشخصيات بارزة تنسب إلى الأندلس منهم مسعود الأندلسي ،وعمران ابن مروان الأندلسي وهما من مجلس الشورى الذي عينه الإمام عبد الرحمان لاختاروا واحدا منهم الإمامة تأسيسا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وقد مال أغلب المجلس وأغلب العامة إلى مسعود الأندلسي لكفاءته وقوة شخصيته.

ونتيجة لهذا الدور الثقافي الذي اضطلع به الرستميون ظهرت مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس إذ تركت آثار في الشعب الأندلسي لسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسين وقد ظهرت هذه التأثيرات في مناطق الاحتكاك التجاري بين الرستمين والأمويين في قرية بلفين التي كان أهلها على مذهب الخوارج ،وإلى الأندلس رحل كثير من علماء الدولة الرستمية يستمعون على علمائها ويرون عنهم مثل **قاسم بن عبد الرحمان التيهرتي**.

---

[1]- المرجع نفسه : ص 396.
[2]- المرجع نفسه: ص 396.
[3]- المرجع نفسه: ص 397.

المبحث الرابع : فن الترسل الرستمي:

أ- **أعلامـــــه:**

إن أغلب الرسائل التي كتبت في عهد الرستمين في أغلبها كانت من أئمة الدولة الرستمية إذ كانت لهم علاقات مع إخوانهم في المشرق ،من الإباضية وما بنت نتاجة حكمهم بخلافات واضطرابات الخارجين من طامع فيها أو منبع لمذهب جديد غبر الإباضية ،فنشطت حركة الترسل فكثرة رسائلهم وكانت تتحكم إلى قواعد الكتابة الإنشائية المعروفة في الأدب العربي ويلتزم بنية وهيكلية الرسائل.

وبحكم حفظهم للقرآن الكريم وجهوها لأشخاص بقصد الإرشاد والنصح حتى لا يحيدون عن المنهج الرباني نوقد وردت رسائلهم قليلة لعبثهم بها خاصة بعد حرق مكتبة المعصومة التي كانت أكبر سبب ضياع هذا التراث وقد وردت في مؤلفات مثل "**الأزهار الرياضية** "و " **كتاب سير الأئمة وأخبارهم** " لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر والأدب الجزائري القديم (**دراسة في الجذور**) لعبد المالك مرتاض.

وقد كانت الكتابة كثيرة في العهد الرستمي مثل ما ورد في رسالة افلح بن عبد الوهاب في شأ يقول فيها :" أكثرتم فيه من الكتب ووصفتم عنه أشياء ".

الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان : (**171هـ - 208هـ/ 787 -823م**) -

عبد الوهاب بن عبد الرحمان ثاني أئمة الرستمين تلقى العلم بالقيروان ثم بتيهرت عن أبيه عبد الرحمان وغيره من حملة العلم ،عاصر الربيع بن حبيب إمام الإباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة وجابر بن زيد.

عالم متضلع من أكبر علماء زمانه ،فقد كان مغرما بالعلم كأبيه متلهفا إلى المعرفة مثله على خزانة كتب والده ،وعلى خزائن أهل عصره التي يصل إليها،فدرس كل الكتب النفيسة التي ظفر بها فكان من علماء عصره ومن أعلام المغرب في العلم سيما في علم الشريعة وكان جبل نفوسة على كثرة علمائه ونبغائه يستقيه علماؤه في المعضلات ف ،وقد تكون من فتاويه هذه كتابه النفيس " نوازل نفوسة" وهو من شواهد على غزارة علمه وسعة بلاغته في العرفان وكان العلماء الجمهوريون قد انتخبوا له من نفاس الكتب في المشرق وقر أربعين جملا ،فتجرد لها فقرأها فل يستفيد منها جديدا إلاثلاث مسائل قال " لو ابتليت بها لتوصلت غليها بالقياس والإستباط "([1])،وذلك لغزارة علمه ونشاطه وعزامة كماله.

[2]وكان الإمام عبد الوهاب مع دكائه العلمي أيضا له ذكاء عملي فقد جعله من كبار الساسة في عصره ،فقد استطاع أن يصل المشاكل الكبرى كإخماد الثورات التي أشعلها العباسيون و الملكيون الآخرون بصنائعهم في تيهرت.

[1]- محمد علي دبوز: " تاريخ المغرب الكبير" – دارالإحياء الكتب العربية- دط- 1383هـ- 1963م- ص،461.

وقد استطاع أيضا بذكائه أن يكشف مؤامرة اغتياله التي حاكها يزيد بن فندين ومع اشتغاله بالعلم عمليا محبا للعلم والكد احترف التجارة فبرع فيها ،فكان في تيهرت من كبار التجار قبل أن يلي الإمامة وكانت قوافله تغدو وتروح بأنواع البضائع إلى الجهات فاعتنى ،فأضفى على أبيه وعلى أسرته الغنى الواسع الذي جعلهم في غنى عن مال بيت المسلمين فقد قال عن نفسه :" لو لم يكن في الدولة الرستمية إلا أنا،وابن زلغين وابن جرفى لأغنينا بيت مال المسلمين بما يجب علينا من أركان " [1].

بلغت الدولة الرستمية في عهد الإمام عبد الوهاب شأن بعيدا في الحضارة وكانت لها علاقات الند للند مع الأمويين بالأندلس ،ومع الأغالبة في افريقية ومع المدارين في جنوب المغرب الأقصى وعلاقات تجارية وطيدة مع الصحراء ومع إباضية المشرق.

وكان الإمام عبد الوهاب شجاعا بطلا قوي القلب لقد نشأ في عهد كان المغرب فيه على عراك مع العباسين ليتخلص من ظلمهم واستبدادهم ..... وشارك عبد الوهاب في شبابه في إشاء دولة أبي الخطاب ثم بالسلاح فكان من جودها الشجعان ومن حماتها المفضلين ،ولما فتح أبو الخطاب القيروان كان عبد الوهاب مع أبيه عبد الرحمان فيجيش أبي الخطاب فظل مع أبيه في ولايته على افريقية والمغرب الأوسط يشد أزره في شؤون الولاية ،وبعينه في كل ما يستطعيه من مهمات الإمارة.

فخرج مع أبيه عبد الرحمان إلى المغرب الأوسط ليجددوا الدولة الجمهورية فيه وكان يحرس أباه في طريقة ،ولما ماتت فس أبيه وصعف عن المشي السريع في الرمال وفي الصحاري،وكان يحمله مع أبيه فقال للغلام :" إن أدركنا من جيش ابن الأشعت مادون المائة فارس فلا تضع الشيخ عبد الرحمان ،وأنا أكفكما أمر قتالهم ".

وكان عبد الوهاب مع أبيه عد الرحمان في جبل سوفجج ،وكان مستعدا لحوض الحرب لوقعت بينهم وبين ابن الأشعت الذي حاصرهم وكان مع أبيه في حربه مع عمر بن حفص ،لقد تجرع مع أبيه مرارة كل المكاره وحضر كل المعارك فأورثه ذل صلابة في العود ومتانة في الخلق وضاعف شجاعته وبطولته.

وكانت الأسفار التي كان يقوم بها في التجارة ،وحمايته لقوافله في العراق المخوفة وما تستلزم التجارة من تعب وكد ومغامرة ،كل هذا أورثه قو في النفس ومتانة في الخلق فكان تلك الجبل الجلد الذي تلقى عليه الأعباء الثقيلة فلا بضعف ونهب عليه الأعاصير وتنفض عليه الصواعق فلا نريده إلا صلابة وقوة وثباتا.

لقد تفرع عبد الوهاب كل مرارة مع أبيه وكان عضده الأيمن في إنشاء الدولة الرستمية ،وفي النهوض بأعباء الإمارة والإمامة الثقيلة وقد اكتسب حنكة وتجربة ودراية بشؤون السياسة ،وبراعة في الإدارة بإعانته والده في مهمات الدولة ،فاتجهت إليه الأنظار من أنحاء الدولة في عهد والده وشخصيته الخاصة والجماهير الكبيرة لتولي بعد أبيه ([1]).

[1]– محمد علي دبوز : مرجع سبق ذكره – ص 463.

[1]- المرجع نفسه: ص 465.

والإمام عبد الوهاب هو الإمام الأثر ذرا في المصادر الإباضية ولعل ذلك يعود إلى التأثير الكبير الذي تركه في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية ..... فقد اتسعت دولته من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غرا ،بل إن حدوده هيمنته شملت في بعض الأحياء دولة بني مرار في المغرب الأقصى ..... ([1])

" وكان الإمام عبد الوهاب بعد رجوعه من المغرب الأدنى في شيخوخته البالغة ،ولكن ابنه أفلح ومجلس الشورى كانونا يقومون بمهمات الدولة فكان حمله خفيفا.

وعاش الإمام عبد الوهاب إلى سنة إجدى شر ومائتين فاختاروا الله لجواره ،فانتقل إلى ربه في هذه السنة وكان عره اثنين وتسعي عاما كما أرى وكما تدل عليه الحوادث التي تشارك فيها.

كان عمره الأمام عبد الوهاب نحو قرن من الزمان ،ومدة إمامته أربعون سنة وقد وصلت الدولة في عهده ذر القوة والسعادة والاستقرار والهناء ،إن عهده يمثل شباب الدولة وقوتها ولما توفي لم يستخلف أحدا بل ترك أمر الإمامة ومن أفلح وإن كان يليق للإمامة ويرتضيه للرئاسة لكنه لم يلفت الأنظار إليه ولا رجا من أحد أن يقترحه ويقدمه إن الإمامة ورئاسة الدولة عنده وعند أسرته فانتقل إلى ربه قرير العين بما قدم لنفسه من إسعاد الدولة وخدمتها ،ورفع راية العدل والإمامة الإسلامية ونصرة الدين بتمسكه وتمسك دولته به في كل شؤونها وكان حزن الدولة عليه بالغا وأسى العرب كله لوفاته كبيرا " ([2]).

وكانت وفاته في سنة إحدى وسبعين ومائة .ولم يذكر لنا المؤرخون شهر وفاته .وكان عمر الإمام عبد الرحمان حياتها في البقاع ،وكما ينقشع المرن بعد أن يروى كل النواحي ويملائها بالشباب والأزهار.

وكانت مدة الإمام عبد الرحمان في رئاسة الدولة الرستمية سبعا وعشرين سنة قضى منها في الإمارة ست عشرة سنة. منذ نشأة للدولة ف سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة سنتين ومائة قبل أن تعاني الإمامة وإحدى عشرة سنة قضاها في الإمامة .إن أثقاله في الإمامة .وإذا كانت الإمامة تمتاز بإقامة الدود ،فإن أتقال الإمارة في نشأة الدولة أتقل ثقلا ،وأكثر صوبة .لهذا فمدة رئاسته للدولة سبع وعشرون سنة. عبد الرحمان لما توفي يناهز الثمانين،فدهب كما تغرب الشمس بعد أن وكان الإمام عبد الوهاب قد عاصر م رؤساء الدولة الإدريسة الأمام إدريس الأكبر وقد تأسست دولته في أول عهده أو آخر عهد والد عبد الرحمان وإدريس الأصغر.

ومن ملوك الأغالبة ابراهيم بن الأغلب ابراهيم بن الأغلب،وابنه عبد الله وزيادة الله الأول ،ومن ملوك بني أمة في الأندلس صقر قريش الملك عبد الرحمان وهشام بن عبد الرحمن ،والحكم بن هشام وعبد الرحمان بن الحكم.

ومن أئمة عمان في المشرق :محمد بن أبي عفان البحمدي،والوارث بن كعب وغسان بن عبدالله اليحمدي ،وعبد الملك بن حميد الأزدي ومن الملوك العباسين هارون الرشيد والأمين والمأمون ،" ورجعت تيهرت

[1] - ناصر بوصوري " فن الترسل في العهد الرستمي – مقاربة أسلوبية- "- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- 2007- ص 73.

[2]- محمد علي دبوز : مرجع سبق ذكره: ص 524.

ونواحيها من المقبرة بعد أن واروا الأمام عبد الوهاب في مقره الأخير،وهم يغسلون صدورهم بالبكاء وتبدو حار الأسى التي في قلوبهم في إحمرار عيونهم بالدموع ،وأسرع مجلس الشورى الذي يضم أهل الحل والعقد في الدولة على اختياره ،وأقنعه مجلس الشورى فقبل الحمل الثقيل ،وبسط يده للخاصة والعامة فأسرعوا غله فبايعوه ،فكيف كانت شخصية أفلح؟ وكيف كانت الدولة في عهده؟" ([1]).

الأمام افلح بن عد الوهاب :(208- 258هـ 823 – 871م):

إن الإمام أفلح لما توفي والده في سن الكهولة والنضوج إن عمره كان إحدى وسنتين سنة،وكانت شخصية العظيمة قد برزت وأشرقت وبرق الناس صفاته الكريمة وذاقوا حلاوة عدله،وحسن سياسة لما خلف والده في السنين السبع التي غاب فيها عن المغرب الأوسط ورأوا من روعه وحزمه وتواضعه وكفاءته في السياسة ما جعل الخاصة والعامة تتمنى أن يكون هو أمامها بعد أبيه والمضطلع بأثقال الرئاسة إذا توفي والده ولما انتقل الإمام عبد الوهاب إلى ربه فلم جدوا أحسن من افلح فألزموه فقبلها ،وطأطأ للدولة فوضعت على كاهله أثقال رئاستها.

كان ذلك في سنة إحدى عشرة ومائتين فتنفست الدولة الصعداء ،وزالت عنها الحيرة والمخاوف واطمأن الناس لما تولى الإمامة افلح بن عبد الوهاب،وليست تيهرت وكل أنحاء الدولة زينات الأفراح وأسرع الناس من أنحاء الدولة فأكدوا ببعثهم له،كما بايعته الخاصة والعامة في العاصمة ورضيت به إمامها فاستمر الإمام أفلح بالدولة في الطريق الذي كان فيه أبوه ([2])

ثم إن جماعة المسلمين بتاهرت لما توفي عبد الوهاب بتاهرت وقد أم بهم بجبال تاهرت من العدو كثيرا ابتدروا إبنه أفلح- رضي الله عنه- فولوه على أنفسهم من يومهم ذاك .وكان ميمون النقية فسلك الله به البلاد و رضي به العباد.

فلما اتصلت الأخبار إلى أبي عبيدة الإمام بموت الإمام – رضي الله عنه – كتب على الإمام افلح – رضي الله عنه – يستشيره في أمر الخلق ويستأنفه في الدفاع فأمره أفلح لما لمر هبه أبوه عبد الوهاب – رضي الله عنه – من الرفق واللطف واللين ،ما لم يفاجئه ([3]).

كان الإمام أفلح فارسا من فرسان عصره في الحروب ،وبطلا من الأبطال الأقوياء وكان من القواد المهاهرين في الهيجاء وكان من العلماء الأجلاء وأديبا له شعر حكيم سائر مثل الرائية للحث على طلب العلم يقول فيها: العلم أبقى لأهل العلم آثـــــارا وليلهم بشموس العلم قد نـــار

يحي به ذكرهم طول الزمان وقد يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حتى وإن مات ذو علم وذو ورع إن كان في منهج الأبرار ما مارا

---

[1]- المرجع نفسه: ص 425- 426.

[2]- محمد علي دبوز: مرجع سبق ذكره ،ص 527.

[3]- أبي زكرياء يحي بن أبي بكر: " كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء" – دوان الطبوعات الجامعية – الجزائر- دط- 1984- ،ص 127- 128.

ورسائل جميلة متداولة وكان من البقاء ،وقد سطع منذ حادثة سنه وظهرت كفائته العلمية في سن المبكرة.
كان عالما من أكبر علماء زمانه ،فقها وشاعرا وقد تصدر صغيرا للتدريس وإلغاء العلوم على إختلاف فنونها ،فقعد بين يديه أربع حلق :في الفقه والأصول واللغة، وعلم الكلام وتخرج في مدرسته من العلماء منهم : أبناؤه أبو الخطاب ،وأبو بكر ونفاث بن نصرالنفوسي وسعيد بن وسيم بن يونس الويغوي النفوسي.....

قال أبو زكرياء :" بلغنا عن الإمام أفلح أنه قعد بين يديه أربع حلق قبل بلوغه يتعلمون من فنون العلم:الفقه والأصول والنحو وغير ذلك " ([1]).

كان من العلماء المشهورين والمعدودين ،انفرد بآراء في علم اللام واعتبر ذلك إماما ،وترك العديد من الوسائل العلمية،له جوابات وفتاوى في النوازل كما له اهتماما بالحديث وروايته.

وله رسائل دينية تحمل في طياتها وعظا وإرشادا ونصحا وحكما وأجوبة جامعة تدل على مقدرته الأدبية وعظيم فضله في الحكم وإدراة شؤون المسلمين يقول الباروني :" وله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم دلت إلى ما فيه الفضل والكمال والعدل ..... وفي غزارة العلم وقوة الإدراك من الإنتاج " وكان

الوعظ والإرشاد من أهم القضايا التي استقطبت اهتمام الأمير أفلح ويتمثل الخطاب النثري عند الإمام أكثر مما يتمثل في الرسائل التي أنشأها ذلك لعدة دواع منها: الدعوة إلى الدين الوعظ والإرشاد الدعوات السياسية مكانية الخارجية عن سلطان الدولة كتفشي ظاهرة نفاث.... وكان ورعا متمسكا بالدين كل التمسك في ل الأشياء ،وكان حازما محبا للعمل يتولى مهمات الدولة بنفسه ،وكان قد نشأ في أيام جده الإمام عبد الرحمان لما كانت الدولة في طفولتها ([2]).

وكان ميلاذ أفلح قبل مبايعة جده عبد الرحمان بالإمامة في حوالي سنة خمسين ومائة ،إنه قد شارك في حروب ابن فندين ،وكان بطل المعركة التي انهزم فيها ابن فندين فهو الذي قتله ،وأخمد فتنته وهذه الفتنة وقعت في أول عهد أبيه في الغمامة حوالي سنة 172 هـ وهذا يستدعي أن يكون في هذا العهد شابا مكتمل الشباب ،ناضج الجسم كامل الاستعداد للحروب ويكون سنه في العشري أو أكثر.

وكان الإمام أفلح داهية في السياسة يصرف الأمور في حكمة وشجاعة ويدر شؤون الدولة في كياسة ومضاء ،وهابه العباسيون الذين يكيدون لدولته وكانوا يرهبونه ويخشون سطوته.

قال ابن خلدون :" وشيد أو العباس محمد بن الأغلب مدينة بقرب (**حدود تيهرت**) وسماها العباسية ،وذلك سنة **124هـ** وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب " ([3]).

---

[1]- محمد علي دبوز : مرجع سبق ذكره ،ص 531.
[2]- المرجع نفسه: ص 531.
[3]- المرجع نفسه : ص 533.

وكان الإمام أفلح على شجاعته وفروسيته عادلا كل العدل في أحكامه ،لا يحابي أحدا ولو كان أخاه أو أباه أو صهره ،وكان ولاته وفصحاته على عدله وحكمه بما أنزل الله ومساواته بين المتخاصمين في المجلس والحقوق.

لقد عاصر الإمام أفلح ستة من الخلفاء العباسين هم :الرشيد ،الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وها يظهر قول الشيخ علي يحي معمر إلى القول :" ولعل الإمام أفلح يعتبر أعظم من تولى الإمامة في المغرب الإسلامي ،وأنا حين أطلق هذا الحكم أضع في الاعتبار مراعاة التطبيق لأحكام الإسلام ،وتنفذها مع طول المدة وإقبال الدنيا وفيضان الثروة بين جمع الطبقات .... كان إذا وعد وفى وإذا قال عمل ،وإذا أمر لا إحسان أوتمر يقيم الحدود ويقف عند النواهي للدين ولا تأخذه في الله لومة لائم" ([1]).

وفي عهده تم القضاء على الثورة التي قامت في نفوسة أيام والده عبد الوهاب ثورة خلف بن السمح كما ظهرت " الثقافية" نسبة إلى تلميذه نفا بن نصر الذي انتقده في سرته ،واتهمه بالبذخ في حكمه ولكن سرعان ما تراجع عن مافعل.

لقد كان الإمام أفلح رجل علم وسياسة وحرب ودولة فقد قاد الجيوش وأدار دواليب الدولة فأوجدت له مجدا وتألقا وحضارة.

" وكانت وفاة الإمام أفلح في سنة أربعين ومائتين من الهجرة .وعمره آنذاك تسعون سنة.إنه كان شابا يرفع السلاح ف سنة 171هـ ،وهو الذي قاد المعركة الكرى التي صدت يزيد بن فندين عن احتلال تيهرت، وإحداث انقلاب فيها .وأرى أن سنه حينئذ كانت إحدى عشرين سنة ،وميلاده في سنة خمسين في إمارة جده عبد الرحمان أيام تأسس الدولة الرستمية وميلادها .إن الأحداث الكبرى والحروب التي شارك فيها في أول إمامة أبيه عبد الوهاب تدل على أن عمره لما توفي كان تسعين سنة " [(2)] .

توفي سنة 258هـ /871م وقد خلفه ابنه أبو بك وكان أبر أولاده في سجن العباسين.

محمد بن أفلح بن عبد الوهاب [أبو القظان] :حكم (281هـ 894م):

هو محمد بن أفلح وكنيته أبو اليقظان وكانت إمامته في ىخر سنة إحدى وأربعين ومائتين من الهجرة فهو خامس الأئمة الرستمين " حد غير واحد من أصحابنا أن محمد بن أفلح اجتمع عليه عامة المسلمين فولوه على أنفسهم ،ولم يكن منهم في توليته اختلاف وبلغ في العدل والفضل غاية عظيمة ،وكانت نفوسة لا تعل بولايته إلا ولاية جده عبد الرحمان رضي الله عنهما ...

وكانت نفوسة تجعل من داره كالمسجد يسهرون حوله ..طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرآن وطائفة تحدون في فنون العلم ..... ومكث في إمامته أربعين سنة حن السيرة أروع من في زمانه فعاش حتى كبر

[1]- ناصر بوصوري: " فن الترسل في عهد الرستمي – مقاربة أسلوبية-" ، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة – 2007- ص 75.

[2]- محمد علي دبوز : " تاريخ المغرب الكبير ج2 "- دار إحياء الكتب العربية- الطبعة الأولى 1373هـ- 1973م – ص 558.

سنه ثم توفي – رضي الله عنه- وكان له في الرد على المخالفين كتب كثيرة بليغة شافية وقد ذكر أنها قوم بلغت قمتها سبعة عشرا دينارا ... " [1].

وقد بويع الإمام أبا اليقظان ي ظروف صعب إذ ترك له أخوه ابو بكر الأمة متناحرة بعد فتنة ابن عرفة فلم تستقر له الإمامة إلا بعد سبع سنين قضاها في تنظيم وتصفية صفوف المجتمع من آثار الفتنة

" وبايعوا أبا اليقظان إماما للدولة ،فسمع من بالمدينة من القبائل والمخلصين للدولة بإمامة أبي اليقظان فخرجوا كلهم إليه فبايعوه وانضموا إليه .وسمعت نواحي الدولة بإمامته فبايعوه وفرحوا برئاسة للدولة فصارأبو اليقظان هو الإمام فطبت العاصمة فأشفاها " ([2]).

وكان أبو اليقظان لما ولي الإمامة في سن الكهولة والنضوج كان عمره نحو سنين عاما وكان حازما مخلصا ورعا فأطفأ نيران الفتنة وسد أبواب الدرس والكيد في وجه الأعداء ،كان أشبه الناس بجده عبد الرحمان ورعا تقيا يراقب ربه في كل الأشياء،كان عالما من كبار العلماء في عصره وكان حازما كل الحزم ،حكيما متواضعا مخلا لم تلهيه عن الجد ما كانت تعيش الدولة من حضارة راقية ونعيم قال ابن الصغير " لما مات أبو اليقظان فكل واجد له من عين في تركة سبعة عشر دينارا " ([3]).

وتذكر المصادر أنه سجن ببغداد مع أخ خليفة عباسي قبل توليه الحكم سنة 874م ،قبض عليه عيون ني العباس في موسم الحج أثناء أدائه للفريضة ,قضى في جن بغداد سنين عددا ،تعلم خلالها الكثير من فنون السياسة والكياسة.

قال ابن الصغير :" وكانت نفوسة البل مفتونة بابي اليقظان وكان أكثرهم لا يحج إلا باستئذانه وكانت المرأة شيعت بابنها يأخذ لها الإذن منه لتحج ....."

وقد عرفت الدولة الرستمية في عهده انفتاح كبير على العلم والعلماء فقد كانت له حلقات علم تيهرت وتخرج على يديه الكثير من الأعلام،وكان من المكثيرين في التأليف له " رسالة في خلق القرآن " وق الف في الإستطاعة وجها أربعين كتابا وله رسائل وجوابات مختلفة وعديدة .

انتقل الإمام ابو اليقظان إلى ربه وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين ومائتين وعمره كان نحو مائة عام ،فقد كان ميلاده زمن جده عبد الوهاب ،أما مدة إمامته فكانت أربعين سنة من سن 241 السنة 281هـ ،فقد بكته رعيته بالدموع السخنة وحزن المغرب الكبير لفقدانه وقد خلق من الأولاد الذكور عددا منهم :أبو اليقظان الذي يكنى به ،ويعقوب أحد الأئمة الرستمين من بعد يوسف وأبو خالد وعبد الوهاب ووهب.

ب- موضوعاتــه و خصائصه البنائيــة:

لقد شهدت فترة بني رستم شهدت ازدهار فن الكتابة ذلك أنه كانت دولة فتية وفي حاجة إلى بسط سلطانها على الأقاليم والولايات التي تحت قبضتها ولم يكن من وسيلة للاتصال في ذلك الزمان غير الوسائل بما

[1]-أبي زكرياء يحي بن أبي بكر : مرجع سبق دكره – ص 147- 148.
[2]- محمد علي دبوز : مرجع سبق دكره: ص 583.
[3]- نفس المرجع: ص 587.

تحمل من تعليمات وأوامر لولاة تلك المناطق ،فقد كانت الرسائل بمثابة المراسيم والتعليمات الرسمية التي تصد عن السلطة الحاكمة ،لكن تلك الرسائل المفترض أنها تبودلت بين أئمة الرستمية وولاتها ولم يبق منها إلا القليل بعد أن تدخلت فيها يد البشر فسادا ،أما الرسائل الإخوانية فلم يبق منها لا قليل ولا كثير ومع هذا فقد وجدت خاصة بين العلماء والإخوان والأصدقاء

أما الرسائل الديوانية فقد تناولت الموضوعات التي تهتم الشؤون العامة للدولة الرستمية وما حدث فيها من أحداث ومن فتن الواقعة في الدولة مثل رسائل الإمام افلح في شأن نفاث بن نصر النفوسي والرسائل الموجهة إلى نفاث نفسه ونجد في موضوعات الرسائل الديوانية التطرق إلى العقيدة والوجوب التمسك بالدين ويغلب على تلك الرسائل الطابع الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني الذي كان سمة الدولة الرستمية.

إن الأئمة الرستمين أهل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسكون بالعقيدة قولا وعملا والإمامة عندهم هي العمل بأموار الله والابتعاد عن نواهيه والسير على نهج الصالحين والتمسك بالعروة الوثقى ،ومن شروط الإمامة ألا يغفلوا عن أمور الرعية ولا يتركوا لها الحبل على الغارب حتى لا تضيع أحوالهم وبذلك يحاسب الإمام ،ومن هذه الرسائل رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان إلى أهل طرابلس يذكر فيها قواعد الإسلام والسلوكات التي يجب أن يتصف بها المسلم في مجتمعه.

ولا ننسى أن الكتاب قد تأثروا في كتاباتهم بالمشرق تأثرا واضحا في كتابة رسائلهم ،ونجد رسائل عديدة وكثيرة للإمامين عبد الوهاب ابنه أفلح لأن فترة حكمهما طويلة وكانا على قدر كبير من العلم والأدب والبلاغة يقول **البارونى** : " وكانت له عدة رسائل وأجوبة مفيدة جدا في فنون شتى بعضها موجود وبعضها مفقود " وهي دائما ذات غرض ديني وإرشاد وتوجيه.

لم تخرج الرسائل الرستمية عن الهيكل البنائي المعروف لفن الرسل في الأدب العربي فقد استوت على مقدمة ومضمون وخاتمة فنجد مايلي:

1- المقدمـــــــات :

تضمنت مقدمات الرسائل الرستمية ماكان متعارف عليه في ذل الوقت فقد اشتملت بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل والمرسل إليه ويوجد في بعض الرسائل الأخرى الحمد والثناء

 لإمام

فلح بن عيد الوهاب إلى البشير بن محمد يت يقول بعد البسمله : " من افلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام الله عليك وأني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله :أما بعد ..... "([1]).

ومن هذه الرسائل أيضا رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان إلى أهل طرابلس يقول فيها:

[1]- الباروني :" الأزهار الرياضية في الأئمة وملوك الإباضية " دط –دت- ص 90.

" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: وهذه شريعة رسالة ....."

وكذلك ما جاء في رسالة الإمام عبد الوهاب وهي جواب إلى جبل نفوسة على الرسالة التي وصلته عنهم يقول فيها : " بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين أما بعد :فإني آمركم بتقوى الله واتباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه ..." ([1]).

2- المضمـــون :

تنتقل المقدمة إلى المضمون في الرسائل الرستمية بكلمة :أما بعد وهي للدخول إلى موضوع الرسالة فقد كانت موضوعات ومحتوى الرسائل الرستمية دينية وسياسية هذا لأن الأئمة الرستمين أهل فقه ومعرفة بأمور الدين متمسكون بالعقيدة قولا وفعلا ، والإمامة عندهم هي العمل بأوامر الله والإبتعاد عن نواهيه والسير على نهج الصالحين والتمسك بالعروة الوثقى ومن شروط الإمامة أن لا غفلوا عن أمور الرعية ولا يتركوا لها الحبل على الغارب حتى لا نضيع أحواله وبذلك يقاس الإمام.

فقد كان الأئمة الرستمين على قدر كبير من العلم والأدب والبلاغة يقول الباروني :" وكانت له عدة رسائل وأجوبة مفيدة جدا في فنون شتى بعضها موجود وبعضها ومفقود.

فشتى الرسائل المكتوبة في هد الأئمة كانت أغلبها ديوانية للإشارة كما حدث في تلك الفترة من حكم بني رستم كرسالة أفلح بن عبد الوهاب إلا جبل نفوسة " نفث " ،ورسالة الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة في مسألة خلف ين السمح وفي مضمونها كانت تحل في طياتها وعظا وإرشادا ونصحا وأجوبة جامعة تدل على تمسكهم بالدين والعقيدة كما ند في رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب لأبي البشير بن محمد بنصحه ويحذره في الوقت نفسه في قوله :" ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها،وذكر في صغير خلقت وفي عظيم ما خلقه الله وماجعله من النكال والعذاب لابن آدم ومن عافى به من فاز برحمته ....."

فجل موضوعاتهم كانت تصب في قالب ديني وسياسي ذلك لأنها كلها رسائل ديوانية أشارت إلى بعض ماحدث في تلك الفترة من حكم بني رستم كما في رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب في شأن " نفاث "ورسالة الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة في مسألة " خلف بن السمح" وبعض تلك الرسائل كان موضوعه وعظي ديني مل رسالة عبد الوهاب إلى طرابلس يعرفهم فيها الإسلام ويدعوهم إلى التمسك بالشريعة وموالاة أهل الهدى والبراءة من أهل الضلالة وبعضها كان موضوعها نصح وإرشاد وتوجيه من أئمة بني رستم إلى ولاتهم ورعيتهم كما في رسالة أفلح إلى البشير بن محمد ينصحه ويوجهه ويحذره في الوقت نفسه.

[1]- المرجع نفسه: ص 71.

3 – الخاتمـــة:

لم تخالف الرسائل الرستمية ماكان متداولا ومعروفا في الرسائل الأدبية فنجد بعضها يختتم بجمل أمرية تفيد النصح مثل ماجاء في رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان إلى جبل نفوسة في مسالة خلف بن السمح :" وتوبوا إلى ربكم وارجعوا إلى التوبة لعلكم تفلحون "

وأيضا رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد : " فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيها إلينا على هذا مضى من كان قبلك" .كما ختم بعضها بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى رسائل أفلح بن عبد الوهاب : " عصمنا الله وإياكم ورزقنا العمل بطاعته فإنه ولي ذلك ومنتهى الرغائب لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم ".

في مرات أخرى اختتمت الرسائل الرستمية بالدعاء والسلام مثل ماجاء في رسالة أفلح بن عبد الوهاب إلى عامة المسلمين ك" والله أسأل إني يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه وبرحمته إه قدير والسلام عليكم ورحمة الله ".

فقد نجد رسائل كثيرة للإمامين عبد الوهاب وابنه أفلح لأن فترة حكمهما طويلة وكانا على قدر كبير من العلم والأدب والبلاغة فالرسائل الرستمية لم تخرج على نمط الرسائل الشرقية فقد استهلت بالمقدمة بالحمد الله ثم من فلان إلى فلان المرسل إليه م عقبها بالحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قوله أما بعد وختام هذه الرسائل إما بالدعاء أو السلام كما ذكرنا سالفا.

ج-أهم الرسائل الرستمية:

<u>الرسالة الأولى :</u>

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليما

وهذه شريعة رسالة كتب بها عبد الوهاب بن عبد الرحمان إمام تاهرت إلى أهل طرابلس

أما بعد :

فإن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد ا عبده ورسوله والإقرار بما أنزل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من ستطاع إليه سبيلا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى و اليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين وغض البصر [1]وحفظ الفرج و ستر ما أمرا الله به أن يستر والاستئذان عل أهل البيوت والنكاح بالرضاء والفريضة بإذن الولي والشهود ذوي عدل وإتقاء المحيض والغسل من الجنابة وذكرا بسم الله عند الذبيحة و أداء الأمانة إلى جميع الناس البار منهم والفاجر والحكم بين الناس بالعدل والتعاون على لبر والتقوى والنهي عن الفحشاء

والمنكر والإثم والعدوان ولتوبة من الذنوب والشهادة لأهل الهدى بهداهم وولايتهم عليه،والشهادة على أل الضلالة بضلالتهم والبراءة منهم فمن أقر للمسلمين بهذا وبت ولايته ومودته والإستغفار له وجب حقه ما لم يحدث حدثا يخرجه من ولاية المسلمين ([1])

الرسالة الثانية:

جواب الإمام عبد الوهاب (رحمه الله) إلى جبل نفوسة في مسألة خلف

من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بجبل طرابلس .

أما بعد : فإني آمركم بتقوى الله ،واتباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه .وقد بلغني ما كتبتم به إلى من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس خلفا ورد أهل اخير ذلك .

ابن من لي خلفا ن غير رضاء إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين ،ومن أبى من توليته فقد أصاب ،فإذا أتاكم كتابي هذا ، فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح إلى عمالته التي ولي عليها ،إلا خلف بن السمح فحتى يأتيه أمري وتوبوا على ربكم ،وارجعوا التوبة لعلكم تفلحون ([1]).

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

" من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد ،سلام الله عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ،و أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله :

أما بعد :

ألبسك الله عافيته ،فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها ،وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم ومن عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر ،وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها ،فلو تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينفوا من أنفسهم ويفارقوا جمع اللذات ،إلا أني أقول لك غن الدواء في هذا هو الإستعانة إلى الله في العصمة ،فمن أراد به الإحسان عصمه (أي حفظه من الإصرا ر على المعاصي ووفقه إلى التوبة)،و جعله من أوليائه الذين قا لإبليس فيهم " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " سورة الإسراء : 65 ، فاطلب الله وارغب إليه في العصمة والتوفيق وأن يحول بينك وبين عدوك واعلم انه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه موعظة يأخذها ،فاقبل واجتهد في القبول " إل أن قال : " وأما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وأن الحاضر يرى مالا يراه الغائب ".

---

[1]– نبيل بوصوري : " فن الترسل في العهد الرستمي – مقاربة أسلوبية - جامعة قاصدي مرباح -ورقلة- 2007 - دون ذكر الترقيم في الملحق

- [1]- الباروني : " الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية "- موقع :دار الإستقامة – ص 71.

فلعمري إنه لكذلك لكن ليست في هذا إنما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا على هذا مضى من كان قبلك " ....إلخ. ([1])

الرسالة الرابعة:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أما بعـــــد:

عافانا الله وإياك عافية المتقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته وهداهم إلى ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ،أولئك الذين هاهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ،كتبت إليك ومن قبلي في عافية والله لا شريك له،أحببت أن أعلمك ذلك بالكتابة به إليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو اهله وأوصي نفسي وإياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوقي على دينه والتوكل عليه وحده ،لا شريك له ،فإنه عز وجل يقول :" و من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا "

سورة الطلاق : (32)

فإلزم التقوى نفسك وأشعرها قلبك واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور ،والتقوى من الله بمكان عظيم والمتقون هم الفائزون خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ونجوا من عذاب الآخرة ونكالها ،فمهدوا لأنفسكم وقدموا لمعادكم واعملوا عملا يسركم غدا مكانه فكأني بكم وقد فارقتم الدنيا ولحقتم بالموتى وعليكم بالتمسك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة في الدين،نظروا إلى الآخرة بقلوبهم فهان عليهم فراق الدنيا وما فيها ،فلا تغرنكم فإنها فانية زائلة فكأننا وإياكم قد فارقناها ، فوقفنا بين يدي الله تعالى فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحنوا بالحسنى ،عصمنا الله وإياكم بالتقوى ورزقنا العمل بطاعته فإنه ولي ذلك ومنتهى الرغائب لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " ([2]).

الرسالة الخامسة :

جواب الإمام أفلح بن عبد الوهاب رضي الله عنه إلى المسلمين في شأن نفاثة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

[1]- الباروني: مرجع سبق ذكره – ص 89 – 90.

[2]- ناصر بوصوري : مرجع سبق ذكره- دون ذكر الترقيم في الملحق.

من أفلح بن عبد الوهاب إل ميال بن يوسف يقرؤه على من بحضرته ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه عليه ، أما بعد:

فالحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائه معز ،أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع أمره بمخذول ،" أحمده" على ما أنعم به علينا وأحسن فيه إلينا حمدا أبلغ به رضاءه وأستوجب به المزيد إنه قدير ،انتهى إلي الكتاب الذي كتب به إليك (تحية بن عابدين) فقرأته وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن خائب جاهل ،بما هو عليه متحامل على ما لا علم له به متخبط في أموره خبط عشواء ،لم يبلغ العلماء فيقتبس ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على ما لا علم له به لكنه نشأ وحيدا أقام متوحشا من العلماء فتقلب في جوانحه الشيطان بنفحاته ،فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون ما لا يعلم حتى يعلم فهجم على ما لا يحل له فكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيبا كان أو مخطئا ،وما أصابه من شيء على غير علم فإصابته خطأ إذ تكلم بما لا علم له به ،وما أصابه من خطأ فهو مخطئ فه فهو يتردد في الخطأ: إن أصاب لم يدر وإن أخطأ لم يدر ،فهو راكب مشكلات يخبط خبط عشواء كحاب ليل لا يدري ما يحطب ،ولعله يحتطب ما فيه حتفه أو حية تأتي على نفسه ،فنعوذ بالله من الفتنة ومن السلوك على منهاج ذلك الرجل.

لقد كان من قبلكم من المسلمين ،لا يدعون مثل هذا يدخل مجالسهم ولا يشهد جماعتهم وكان عندهم مقصى ومبعدا مدحورا يهجرونه ولا يجالسونه،ى حتى يرجع إلى سنة المسلمين وأنتم محقوقون بإتباع آثار سلفكم ،والسلوك على منهاجهم وأن تفعلوا بذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيرا وينتبه غيره ممن يخاف عليه الإقتداء به ولا تظهر سنن أهل البدع ولا تقوم للشيطان دعوة أنا مبتدئ لكم ما ذكروه وار عليه ضلالته ([1]).

الرسالة السادسة:

الرسالة الثانية للإمام افلح إلى المسلمين في حق نفاثه

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى ..... (بياض في الأصل .)

أما بعـــــــــد : ألبسنا الله وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمته.

كتبت إليك وأنا ومن قبلي وخاصتي والرعية عامة على أحسن أحوال جرت به عادة الله وتوارت به نعماؤه فله الحمد كثيرا والشكر دائما.

[1]- سليمان باشا الباروني: مرجع سبق ذكره – ص 96.

أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك ،وتواتر نعم الله عليك ،وإحسانه إليك وإلى من قبلك من الرعية ،وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت الله كثيرا عليه وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته إنه مجيب وذكرتم أمر نفاث ،وأكثرتم فيه من الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم في أنها بدعة وخلاف لما مضى علي سلفكم، فإن يكن ذلك كما وصفت فما ينبغي لأحد منكم أن خالجه الشك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون رضي الله عنهم من أتى من بعدهم خالف شريعتهم ،ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال كفر، وكل كفر في النار وأنتم على يقين من سنة أسلافكم ولا يتبع الهدى إلا في موافقتهم ولا يخاف العاقل الهلاك إلا في خلافهم وقد قلتم في كتابكم " هو غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور فنخاف أن حشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع إعجاب الرأي على شك من دينكم أو ريبة في أمركم ؟ السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون على مثل حالكم ،بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم وكبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان ليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن الغلام.

فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحا وهو أنه أخذ بخلاف ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة ،لم يقلها غيره وأنتم على يقين من أمركم فما أحوجكم إلى مجيئه و أشخاصه وإن كنتم تريدون أن تعملوا ما نحن عليه ،فنحن على ما مضر به سلفنا ومقرون ا حكيتموه عنه أن قالوا فقوموا عليه فإن رجع عن مقالته ونزع بدعته فمقبول من رجوعه ومرحبا بالتائب حيث كان ومن كان وأين كان ،وإن أبى إلا التمادي فأنتم تعلمون السيرة فيمن ابتدع في دين الله وشق عصا الإسلام ،وقال بخلاف الحق فإنه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد ونفاث مثل واحد من الناس لا أخصه بشيء دون غيره والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول ولا يتبدل فإنا نشهد الله على ما كان من أهل هذه الدعوة وعمالنا وقوادنا وأهل العلم من أصحابنا ومت الالتفات إليهم من رعيتنا ،لا يسمع أحد يبتدع في دين الله أو يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا ،إلا ويكون قد غير ذلك وأطفأه ومحرم أن يتعدى وأن يقول بخلافه فمن قرئ عليه كتابي هذا ،فليسمع وليطع ولينتهه إلى ما أمرت به فإن من انتهى إليه كتابي هذا في حرج إ قصر عما أمرت به،ومن عاب أحدا من عمالنا بخصلة من الخصال أو أنكر عليه شيئا فليرفع ذلك إلينا فنكون نحن الذين يغيرونه إن كان مما يغير.

وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك إلينا لأن الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن أولى بالنظر فيما خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة ،لأن هذا وضربه مما لا يعلم باطنه إلا يبحث وقد ظن الظان في الأمر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم ولم يظلم من دعاكم لنفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم إليه لأن في ذلك شفقة منا عليكم أن تهلكوا من حيث لا تعلموا والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وإياكم وهو المستعان لا شريك له.

وقد كتبت إليك جواب مسائلك ـفعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك فإنها إن سلمت لك،فقد نجوت وفزت فوزا عظيما ،ولا تدع الكتابة إلي بحلك وسلامتك فإنك تسرني بذلك والسلام. ([1])

الرسالة السابعة:

الرسالة الثالثة للإمام أفلح رحمه الله أرسلها إلى نفاثه

من أفلح بن عبد الوهاب إل نفاثه بن نصر أما بعد :

فالحمد الله المنعم علينا والمحسن إلينا الذي بنعمته تتم الصالحات ،ولا يهتدي مهتد إلا بعونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه ،وهو المحسن إلينا إذ هدانا لدينه ,جعلناخلفا من بعد أسلافنا الصالحين ,أئمتنما المهتدين ألذين في أتباعهم نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة ولن يهتدي من خالف العدل ولن ينجو من ابتدع غير الحق ،لأن تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار.

وقد كتبت إليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك إلى رشدك وفي كل ذلك لا بلغني من عمالنا فيك إلا ما أكره وما لا أرضاه لدين ودنيا حتى حررت كتابا منشورا إلى عمالنا أمرتهم فيه بخلع كل من خالف سيرة المسلمين ،وابتدع غير طريقتهم وسار بغير سيرتهم وبنفيه وهجره وإقصائه فكتبت إلي كتابك كأنك تسخط من الدين وقال عز من قائل ،وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون " (آل عمران : 107) فمدحهم إذ ثبتوا على دينه واتبعوا أمره وسلكوا منهاج أوائلهم.

فعليكم معشر المسلمين بإتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقمون قبلكم ،فقد سنوا لكم الهدى ،ففي إتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي والرشد خير من الغي والهدى خير من الضلالة ،والجنة خير من النار ولن يستوي عند الله من عمل بطاعته وأمره ومن عمل بمعاصبه وركب سخطه ألم تسمعوه يقول عز وجل :" أم حسب الذين اجتر حوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياه ومماتهم ساء ما يحكمون " (الجاثية 20).

[هذا] وقد بالغت إليكم في النصيحة ،وشرحت لكم الموعظة ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما أنهى عنه نفسي نصيحة لله واجتهادا في طلب رضائه ،والله اسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته إنه قدير والسلام عليكم ورحمة الله [(2)].

---

[1]- سليمان باشا الباروني : مرجع سبق ذكره – ص 97.

[2]- سليمان باشا الباروني: مرجع يبق ذكره - ص 98.

الرسالة الثامنة:

رسالة الإمام أبي يقظان محمد بن افلح إلى جميع رعيته إرشادا ونصحا

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[من محمد بن أفلح] إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين ،سلام عليكم وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو واسأله الصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

[أما بعد] : فإن أفضل ما يتواصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ،ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب ،والعمل الصالح.

[وعليكم معاشر المسلمين بالتهيؤ للقدوم على الله ،والتأهب والاستعداد ليم تشخص فيه الأبصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الألوان ويشيب فيه الولدان ،وتذل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد "الحج.

[واعلموا] رحمكم الله أن أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم،فرحم الله امرئ احتسب لنفسه وأرصدها لله في طلب العلم ،والنقص على من حاذ الله وعدل عن مناهج رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وضاد المحقين من عباده حتى تكون كلمة رسول الله هي العليا والباطل زهوقا.

وعليكم معاشر المسلمين بإتباع الماضي من أسلافكم المتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن مناهجهم وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلة ممن أراد أن يبدل دينكم شيعا ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواء واستحوذ عليه الشيكان ونبذ ما جاء به القرآن ،فالبس على الضعفاء أمرهم ،وزين بدعته في قلوبهم فخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الأئمة الراشدون .رحمه الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأفضل كثيرا وضل عن واء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله به نستعين وعليه نتوكل زما توفيقنا إلا بالله.([1])

الرسالة التاسعة :

جواب علماء المشارقــة إلى المغاربـــة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين

[أما بعد] فقد بلغنا يا إخواننا ما كان من قبلكم ،وفهمنا ما كتبتمونا به ،أما ما كتبتم م أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة أن لا يقضي أمرا دون الجماعة .

ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ولا تحد ولا حد،ولعطلت الحدود وبطلت الأحكام وضاع الحق ،على أن الإمام إذا قدم إليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه حدا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا

[1]- سليمان باشا الباروني: مرجع سبق ذكره – ص 114.

،اوزنى أحد فلا يرجم ولا تجلد حتى تحضر أيضا ولا يجاهد الإمام عدوا ولا ينهي عن فساد إلا بحضرة الجماعة المعلومة والجماعة يتعذر اتفاقا فالإمامة صحيحة والشرط باطل

وأما ذكرتم من تواب رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعظم منه فذلك جائز إذا كان الثاني من القناعة فالفضل بمنزلة حسنة فقد ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن ثابت أفرض منه،وعلي بن أبي طالب أقضى منه ,معاذ بن جبل أعلم منه وها ليس فيه اختلاف لقول صلى الله عليه وسلم :" أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأقرؤكم أبي ،وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ الجبل "،وقوله صلى الله عليه وسلم :" معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدا يوم القيامة إمام العلماء " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .([1])

الرسالة العاشرة:

رسالة من الإمام عبد الوهاب إلى أبي عبيدة وكتب الإمام عبد الوهاب إلى عبيدة بأمره بالدخول في أمور المسلمين ويقول له: ((إن كنت ضعيفا في المال فبيت المل تغنيك وإن كنت في البدن ،فدخل في أمور المسلمين يقوي الله بدنك وإن كنت ضعيفا في العلم فعليك بأبي زكرياء بصلتين التوكيتي .([2])

الرسالة الحادية عشر :

رسالة كتب بها أبو الخطاب وسيم إلى نفوسة عندما عاتبته في أشياء فعلها فرد عليهم بهذه الرسالة التي ذكرها أبو زكرياء في تاريخه وقد جاء فيها :

((أما ما ذكرتموه من التزامي من الأمور ليقظان لم ألتزمتها ليقظان وإنما التزمتها احتسبا لله وأما ذكرتموه من أموال الأيتام والأرامل فإن الظلمة إذا قبلت إليهم امرتهم أن يداروا عن أنفسهم وأما الاستفتاء في النكار فلم أحكم إلا بما عندي وأما تقديمي في الصلاة الخلفي فإني إذا صليت الفريضة ناديت يا فتح فيتقدم فيصلي الناس ،ولم أمره بالتقدم والسلام([3])

[1]- سليمان باشا الباروني : مرجع سبق ذكره – ص 52.
[2]- ناصر بوصوري: مرجع سبق ذكره – دون ذكر الترقيم في الملحق .
[3]- ناصر بوصوري : مرجع سبق ذكره- دون ذكر الترقيم في الملحق

خاتمـــــــــة :

إن دراسة الأدب الجزائري القديم يجعلك تعرف وتقف على حقيقة وهي أنه لم يأخذ حقه من البحث والدراسة ،وهذا لأن تراث الأدب الجزائري والفكري له جذور أصيلة تضرب في أعماق دول المغرب العربي ،هذا لما يستويه من فكر وتراث وأصالة فالدولة الرستمية جزء من هذا التاريخ الجزائري الأصل والقديم بتاريخه فالدولة الرستمية كانت ريحان وقلة المغرب العربي والجزائري بخاصة بتاريخها وآدابها هي وما مثيلاتها من الدول التي كانت ذات غطاء أدبي وفي يبحثنا هذا قد توصلنا إلى بعض الملاحظات والنتائج منها:

* - أن الأدب الجزائري له إمتداد تاريخي وجذري لم يعني بالعناية والدراسة الكاملة ولهذا ما زال لم يعط للأدب الجزائري حقه في البحث .

*- أن الدولة الرستمية كانت إسلامية عربية سامية في جوهرها وأصيلة في ذاتها.

*- الدولة الرستمية كان دستورها الدين الإسلامي والعقيدة.

*- الأئمة الرستمين كانوا جميعا يحكمون بالدين ويخافون الله ولا يحكمون إلا بوجهه العلي الكريم.

*- مدينة تيهرت كانت بلخ المغرب لتاريخها وأدبها وما احتوى عليه من وقائع وأحداث ذهبية للدولة الرستمية.

*- الأدب الرستمي ضاع منه الكثير وكان ذلك لسببين أولهما حرق المكتب المعصومة السبب الذي أضاع الكثير من تاريخ وأدب الرستمين وثانيهما لعدم الإهتمام بما بقي من ذلك الموروث .

* لم يصلنا من الرسائل التي كتبت في عهد الدولة الرستمية إلا الرسائل الديوانية التي تتعلق بالحكم والسياسة أما الإخوانية فقد ضاعت وهذا من خلال البحث والأبحاث التي سبقتنا.

* - الرسائل الرستمية كانت بسيطة سهلة لا تصنع ولا تكلف فيها .

*- كان كتاب الرسائل من البيت الرستمي وهذا لعلمهم وأدبهم وبلاغتهم.

*- نجد رسائل كثيرة للإمامين عبد الوهاب والإمام أفلح هذا لطول مدة حكمهما.

* - كانت تغلب الألفاظ الدينية والفقهية على الرسائل الرستمية .

* كانت تحتوي الرسائل الرستمية على الوقائع والأحداث التي وقعت آنذاك.

*- تضمنت بعض الرسائل جملا من الرسائل التي أرسلت وكانت هي الرد على ما وصلها من رسائل من الأئمة الرستميين .

- وفي الأخير نتمنى أن توجد بحوث في أدبنا الجزائري لأنه أدب يستحق أن درس ويأخذ مكانته ضمن الأدب العربي فترانا الجزائري جدير بهذه الدراسة حتى يتضح للأجيال القادمة أن الجزائر لها أدب وتاريخ قديم يمثل قاعدة الأدب الحديث وأيضا يعطيهم معرفة كاملة وواضحة لأدبهم القديم وتراثهم ونتمنى أن تكون خطاهم على نجوى هذا البحث المتواضع الذي لن يوفي للأدب الجزائري حقه.

1- المصـــادر :

القرآن الكريم :

1- سورة الكهف : آية .17
2- سورة فاطر : آية 06.

2- المراجـــع:

1- الباروني : " الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية " – موقع الإستقامة.
2- القلقشندي :"كتاب صبح الأعشى ج2 " – دار الكتب المصرية- القاهرة – 1340ه – 1922م.
3- الجاحظ : " كتاب الحيوان "- ترجمة عبد السلام هارون- مكتبة مصطفى حلبي- القاهرة- ط2- 1384 .
4- القاضي شوقي:" الفرج بد الشدة "- الموسوعة الشعرية- المحمع الثقافي الإمارات المتحدة – الإصدار الثالث .2003
1965.
5- أبي زكرياء يحي بن أبي بكر " كتاب السير الأئمة وأخبارهم المعروف – بتاريخ زكرياء – ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر – .1984
6- ابن منظور : " لسان العرب" – دار الإحياء التراث العربي .
7- ابن سنان الخفاجي : " سر الفصاحة " – الموسوعة الشعرية – المجمع الثقافي للإمارات العربية المتحدة – الإصدار الثالث .2003
8- ابن خلدون :" المقدمة " – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط 2 – 1424هـ- 2004 م.
9- أنيس المقدسي : " الدول العربية وآدابها " – المطبعة الأمريكية- بيروت – ط.6
10- أبو حيان التوحيدي : " الإمتناع والمؤانسة" – مكتبة المشكاة- د.ت- د.ط.
11- أحمد بن فارس :" معجم مقايس اللغة " تج هارون – دار الفكر- ج.2
12- أمل داعوق سعد : " فن المراسلة عند مي زيادة " – دار الآفاق الجديدة – بيروت ط1- 1972.
13- آمنة الدهري : " الترسل الأدبي بالمغرب – النص والخطاب " - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية – المغرب – ط1- .1424
14- جريج غريب : " العصر العباسي " – دار الثقافة – بيروت – ط3- .1987
15- جورجي زيدان :" كتابة تاريخ آداب اللغة العربية " .
16- حسين نصار : " نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي" .
17- عبد العزيز عتيق : " في النقد الأدبي " – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ط.2

18- عمر الدقاق :" ملامح النثر العباسي "- دار الشرق العربي .
19- علي جميل مهنا :" الأدب في ظل الخلافة العباسية " ط1 – 1981م.
20- عمر فروخ : " تاريخ الأدب العربي " – دار الملايين بيروت ،1969م – ج.1
21- عبد المالك مرتاض : " الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجدور)- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- دط .2009
22- عبد العال محمد يوسف : " في النثر العربي " – مكتبة لبنان – ط1- 1996م.
22- قدامة بن جعفر : " نقد النثر " – تج طه حسين – دار الكتب العربية- دط.
23- محمد مسعود جبرا ن: " في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب "- المجلد 2- دار المدار الإسلامي- .2004
24- مي يوسف : " الثر العربي بين صدور الإسلام والعصر الأموي " – دار إحياء الكتب للطباعة والنشر.
25- مصطفى ابراهيم : "المعجم الوسيط " – مجمع اللغة العربية- المكتبة الإسلامية ج1.

3- الرسائل الجامعية:

1- ناصر بوصوري : " فن الترسل في العهد الرستمي – مقاربة أسلوبية – " – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – 2007.

الفـــــــــهـرس

العنـــــوان **الصفحة**

مقدمـة

مدخـــل: النثر الفني عند العرب

أ- **لغة**

ب- **اصطلاحا**

الفصل الأول : فن الترسل عند في الأدب العربي..... 25-1

المبحث الأول : الترسل لغة واصطلاحا..... 4-2

أ- **لغة**..... 3-2

ب- **اصطلاحا** 4-3

المبحث الأول: الترسل نشأة وتطورا 20-5

1- مرحلة العصر الجاهلي..... 6-5

2- المرحلة النبوية..... 9-6

3- مرحلة الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -..... 17-9

أ سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه -..... 11-9

ب سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-..... 15-11

ج سيدنا عثمان بن عفان- رضي الله عنه -..... 14-13

د سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -..... 16-15

4- مرحلة العصر الأموي..... 18-17

5- مرحلة العصر العباسي..... 20-18

المبحث الثالث : أنواعـه..... 21-20

1- الترسل الديواني :..... 20

أ- موضوعاته..... 21-20

ب- خصائصه..... 21

2- الترسل الإخواني:..... 22-21

أ- موضوعاته..... 23-22
1- الإجتماعية..... 24-23

2- الوعظية..... 24

3- التعليميــة..... 24

المبحث الثالث : خصائصه البنائيـــة..... 25-24
أ- بنية المقدمات 25-24
ب- بنية المضامين..... 25
ج- بنية الخواتم..... 25

الفصل الثاني : فن الترسل في العهد الرستمــي..... 57-26

المبحث الأول : تأسيس الدولة الرستمية..... 30-26
المبحث الثاني : اهتمامهم بالعلم والأدب..... 34-30
المبحث الثالث: الحياة الثقافية في تيهرت..... 37-34
المبحث الرابع : فن الترسل في العهد الرستمي..... 57-37
أ- أعلامـــــــه 45-37
ب- موضوعاته وخصائصه البنائيـــــــة..... 49-46
ج- أهم الرسائل الرستميـــــــة..... 57-49

خاتمـــــــــــــة

قـــــائمة المصادر والمراجع

الفـهـــرس